الفصل الأول

القرافة: نشأتها وازدهارها

من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي

obeikandl.com

obeikandl.com

يعالج هذا الفصل النقاط التالية:

أولًا: المسميات المختلفة التي أطلقت على أماكن دفن الموتى؛ أو بعبارة أخرى على التجمعات الجنائزية ومناقشتها، ثم تفسير مدلول لفظة القرافة، وكيف أصبح هذا اللفظ عَلَمًا على تلك الأماكن في مصر دون غيرها من البلاد الإسلامية؟

ثانيًا: موقع القرافة الذي ارتبط بسفح جبل المقطم من الفتح العربي الإسلامي لمصر إلى نهاية العصر المملوكي، بل وحتى عصرنا الحالي، ويناقش المؤلف الروايات التي رويت بشأن تسمية هذا الجبل بالمقطم؛ والعوامل المختلفة التي كانت وراء اختيار سفحه قرافة للمسلمين.

ثالثًا: القرافة الكبرى وازدهار العمران بها حتى نهاية العصر الفاطمي.

رابعًا: القرافة الصغرى في العصر الأيوبي.

obeikandl.com

أولاً: المسميات المختلفة لأماكن دفن الموتى

«التجمعات الجنائزية»[١]

أطلقت على أماكن دفن الموتى؛ أو بعبارة أخرى على التجمعات الجنائزية عدة مسميات منها مدافن، وجبانات، وترب، ومقابر، وقرافات، ولكل لفظة من هذه الألفاظ مدلول لغوي يتفق مع الاستخدام الجنائزي له، فيما عدا لفظ القرافة الذي لم يكن له أبدًا مدلول لغوي، كالألفاظ السابقة، ورغم ذلك فقد شاع إطلاقه وأصبح علمًا على أماكن التجمعات الجنائزية في مصر، دون غيرها من بلاد العالم الإسلامي.

(أ) المدافن: ومفردها مَدْفِن، وهو مكان دفن الإنسان «والدفن هو الستر والمواراة، دفنه يدفنه دفنًا، وأدفنه فاندفن، وتدفن: فهو مدفون ودفين، ودفن الميت واراه

---

(١) الجنائز: مفردها جنازة، جنز الشيء يجنزه جنزًا: ستره، والجَنازة بالفتح الميت على السرير، فإذا لم يكن له ميت فهو سرير ونعش، والجِنازة بالكسر الميت بسريره، وقيل: بالكسر السرير، وبالفتح الميت، وقيل: الجنازة الإنسان الميت، والشيء الذي قد ثقل على قوم فاغتموا به، وقيل: إنما سميت الجنازة؛ لأن الثياب تجمع والرجل على السرير، وجنزوا أي: جمعوا.

ابن سيده (أبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده المرسي) ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م، المخصص، بولاق ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م ج٦، ص١٣٢، ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) ت٧١١هـ/ ١٣١١م، لسان العرب، سلسلة تراثنا طبعة مصورة عن طبعة بولاق، ج٧، ص١٨٩، ابن مفتاح (أبو الحسن عبد الله) ت ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م، شرح الأزهار، القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م،ج١، ص٣٩٩. وعن تطور مدلول هذه اللفظة ومعناها الاصطلاحي انظر: محمد حمزة الحداد، العمائر الجنائزية في مصر خلال العصر العثماني، مجلة جامعة الملك سعود، مج١٢، الآداب(١)، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص٢٢٨، بحوث ودراسات (الكتاب الثاني) ص ٣٠٧ حاشية ١.

هذا الأصل، ثم قَالَ: دفن سره أي: كتمه والدفينة الشيء تدفنه»[١].

(ب) الجَبَّانَات: ومفردها جَبَّانَة وهي الصحراء، وتسمى بها المقابر؛ لأنها تكون في الصحراء، تسمية للشيء بموضعه، وقيل: هي المصلى في الصحراء أو هي الصحراء والمقبرة، وربما أطلقت على المقبرة؛ لأن المصلى غالبًا ما يكون في المقبرة[٢].

(ج) التُّرَب: ومفردها تُرْبَة، وتعني المقبرة، وتَرِبَ الميت أي: صار ترابًا[٣].

(د) المقابر: ومفردها مَقْبَرَة، وهي موضع القبر، والقبر مدفن الإنسان، والجمع قبور يقبره دفنه وأقبره وجعل له قبرًا[٤].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٧، ص١١-١٢.

(٢) الخوارزمي (أبي الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي) ت٦١٦هـ/ ١٢١٩م، المغرب في ترتيب المعرب، الهند ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، ج١، ص٧٣-٧٤، ابن منظور، لسان العرب، ج١٦، ص٢٣٦.

المقري (أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي) ت٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، المصباح المنير، الطبعة الثالثة، (بولاق ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م) ج١، ص٤٣.

إبراهيم مصطفى (وآخرون) المعجم الوسيط، القاهرة ١٩٦٠م، ص١٠٦.

(٣) المقري، المصباح، ص٣٥.

ابن مفتاح، شرح الأزهار، ص٤٤٥.

(٤) ابن سيدة، المخصص، ص١٣١.

الخوارزمي، المغرب، ج٢، ص١٠٧،الجوهري، (أبي نصر إسماعيل بن حماد) ت٣٩٨هـ/ ٩٢٢م. تاج اللغة وصحاح العربية، ج١، ص٣٨٣-٣٨٤، ابن منظور، لسان العرب، ج٦ ص٣٧٦.

الفيروزآبادي، (محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي) ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م؛ القاموس المحيط، ج٢، ط٣، بولاق ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م، ص١١١.

وقد نقل كل من المقريزي والسخاوي هذا المعنى أيضًا.

المقريزي، (تقي الدين أحمد بن علي) ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط =

وقد فُسر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾ [عبس: ٢١]، أي: فجعله ممن يقبر، ولم يجعله ممن يلقى للكلاب، ولا للطير والسباع، ولا ممن يلقى في النواويس، والقبر مما أُكْرِمَ به بنو آدم[١].

مما سبق يمكن القول بأن المدلول اللغوي، لكل من المدفن والجبانة والتربة والمقبرة، يتفق مع الاستخدام الجنائزي، ومن ثَمَّ يمكن أن يطلق أي لفظ منهما على أماكن التجمعات الجنائزية بصيغة الجمع، فيقال: مدافن، وجبانات، وترب، ومقابر ورغم ذلك لم تلق هذه الألفاظ من الشهرة والزيوع في مصر مثل لفظ القرافة الذي زاحمها مكانتها، وعم إطلاقه على مثل هذه التجمعات الجنائزية، على الرغم من أنه ليس له مدلول لغوي، يتفق مع الاستخدام الجنائزي تمامًا مثل الألفاظ السابقة.

وإذا كان الأمر كذلك فما هو الأصل إذن في لفظة القرافة؟؟

يكاد ينعقد الإجماع على أن القرافة عرفت بهذا الاسم، نسبة إلى بني قرافة، وهم بطن من بطون قبيلة المعافر[٢] اليمنية التي شهدت فتح مصر، وأنهم نزلوا بهذه الخطة

=

والآثار، طبعة مؤسسة الحلبي عن طبعة بولاق، د. ت، ج٢ ص٤٤٢، طبعة الفرقان، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مج ٤، ص ٨٤٥.

السخاوي، (أبي الحسن نور الدين علي بن أحمد السخاوي الحنفي)، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، تحقيق حسن قاسم ومحمود ربيع، القاهرة، ١٩٣٧، ص٦.

(١) الجوهري، تاج اللغة، ، ص٣٨٤.

ابن منظور، لسان العرب، ص٣٧٧.

السخاوي: تحفة الأحباب، ص٦.

(٢) المعافر: قبيلة كبيرة قوية، ويبدوا أنهم كانوا يقيمون في اليمن في مكان ممتاز، وكانوا أهل جدة ونجدة، فكانوا أقوياء ومناضلين، مثلما كانوا مهرة ينتجون الثياب المعافرية، التي

بالفسطاط من مصر، فسميت بهم مقبرة مصر القرافة[1].

=

اشتهروا بها وكانت أعدادهم كثيرة، وابتنى لهم يزيد بن حاتم فسقية لما شكوا إليه بُعد الماء عنهم، كما أنشأ لهم الفتح بن خاقان في أيام المتوكل بيمارستانا (مستشفى).

الكندي (أبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري) ت٣٥٠هـ/ ٩٦١م، الولاة والقضاة، نشر رفن كُست، بيروت ١٩٠٨م، ص١١٥.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٠٦.

عبد الله خورشيد، القبائل العربية في مصر، القاهرة ١٩٦٧م، ص١٦٧.

إبراهيم أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج٢، صنعاء، بيروت (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ص١٥٦٨.

وعن بيمارستان المعافر، انظر، عبد العزيز عبد الدايم، الرعاية الطبية في عصر المماليك (مجلة كلية الآثار، العدد الثاني ١٩٧٧م) ص١٦١.

(١) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، معجم البلدان، مج٧، الطبعة الأولى ١٩٠٦م، ص٤٣-٤٤، المشترك وضعًا والمفترق صقعًا، ط٢، بيروت ١٩٨٦ ص٣٢١.

ابن خلكان (أبي العباس شمس أحمد بن محمد بن أبي بكر) ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، مج٣ تحقيق، إحسان عباس، بيروت ١٩٧٨ ص٣١٨.

الفيروزآبادي، القاموس المحيط جـ٣، ص١٧٨-١٧٩.

ابن الزيات (شمس الدين محمد)، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى، القاهرة ١٩٠٧م، ص١٧٩.

المقريزي ، الخطط، ج٢، ص٤٤٣، ٤٤٥، ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف) ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م،

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد رمزي، (سلسلة تراثنا، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب (١٩٣٠-١٩٤٠م) جـ١، ص٣٦.

السخاوي، تحفة الأحباب، ص٢٩٤.

المحبي (محمد) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مصر ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م، ج١، ص١٧، الزبيدي (محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي) ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م.

=

هذا وقد ذكرت تفاسير أخرى لمعنى القرافة منها «أن الزائر إذا أقبل عليها يلقى رأفة»[١]، ومنها أن قومًا أكلوا بها طعامًا وقرفوا، فسميت القرافة[٢].

ولم يوافق كل من ابن الزيات والسخاوي على هذين التفسيرين الأخيرين، وذكرا أن التفسير الذي يسبقهما هو أصح هذه التفاسير[٣].

وليس بغريب أن تتسمى جبانة أو مقبرة مصر، باسم قبيلة من القبائل؛ لأنه شاع في البلاد الإسلامية الأخرى، أن تسمى المقابر أو الجبانات، إما بأسماء القبائل والأشخاص، وإما بمواضعها، فمثلاً كان أهل الكوفة يسمون المقابر جبانة، وكانت تضاف إلى القبائل، وتسمى بأسماء أشخاصها، ومنها جبانة كندة والسُبيع وبشر بن ربيعة، وسالم بن عمار، وميمون، وعرزم، وجبانة الأزد، وجبانة الصائدين أو الصيداويين وغيرها[٤].

=

شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة ١٨٨٩، جـ٦، ص٢١٩-٢٢٠

يوسف أحمد، تربة الفخر الفارسي (المحاضرات الأثرية المحاضرة ١٥، القاهرة ١٩٢٢) ص٤٠.

أحمد تيمور، قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه، القاهرة ١٩٢٧م، ص٧.

الأعلمي، (الشيخ محمد حسين الشيخ سليمان الأعلمي)، دائرة المعارف، بيروت، ١٩٧١م، جـ٢٤، ص٥٥.

Kubiak (W) Al- fustat, (Warszawa, 1982) p.174.

(١) الخزرجي، (موفق الدين أبي محمد عبد الرحمن الخزرجي الأنصاري) ت ٦١٥هـ/ ١٢١٨م مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، ويسمى أيضًا بالدر المنظم في زيارة الجبل المقطم، مخطوط جزآن في مجلدين مصور عن المتحف البريطاني تحت رقم ٤٦٣٥، محفوظ بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٢٦٣٨٩) جـ١ ورقة ٥ وجه.

(٢) ابن الزيات، الكواكب، ص١٧٩، السخاوي تحفة، ص٢٩٤.

(٣) ابن الزيات، الكواكب، ص١٧٩، السخاوي تحفة، ص٢٩٤.

(٤) البلاذري، (أحمد بن يحيى بن جابر)، ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م.

=

أما أهل البصرة، فكانوا يسمون هذه الأماكن باسم المقبرة، ومنها مقبرة شيباني ومقبرة حصين، ومقبرة بني مازن، ومقابر بني تميم[١].

وكذلك الحال في بغداد، فقد سميت المقابر بمواضعها، أو بأسماء الأشخاص المدفونين بها، ومن أمثلتها مقبرة باب الشام، ومقبرة باب الكوفة، ومقبرة باب التبن، ومقبرة باب البردان، ومقبرة باب حرب، ومقبرة جامع المنصور التي عرفت أيضًا بمقبرة الجامع، ومقبرة جامع المدينة، ومقبرة الخيزران زوجة المهدي، ومقبرة العباسة بنت المهدي، ومقبرة معروف، ومقبرة عبد الله بن مالك، ومقبرة الشونيزي الصغير التي عرفت فيما بعد بمقابر قريش[٢].

وكذلك الحال في الموصل، ومن أشهر المقابر بها، مقابر قريش ومقبرة الجامع

=

فتوح البلدان، ق٢، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة ١٩٥٦م ص٣٤٤، ٣٤٦، ٣٤٩
الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٤٥.
لويس ماسينيون، خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة نقي بن محمد المصعبي، صيدا، ١٩٣٩م، ص١٨-١٩، هشام جعيط، الكوفة، الكويت (١٩٨٦م) ص ٣٠٥.

(١) البلاذري، فتوح، ق٢، ص٤٤٤.
الحموي، معجم، مج ٣، ص٤٥.
صالح أحمد العلي، خطط البصرة (مجلة سومر، مج٨، ج٢-١٩٥٢م) ص٢٨٤.

(٢) رمزية الأطرقجي، الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول، بغداد ١٩٨٢م، ص١٩٤-١٩٥.
جورج مقدسي، خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، ترجمة صالح أحمد العلي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٨٤م، ص٤٩-٥١.
يعقوب ليسز، خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ترجمة صالح أحمد العلي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٨٤م، ص١٢٩-١٣٦.
صالح أحمد العلي، بغداد مدينة السلام، مج١، (المجمع العلمي العراقي ١٩٨٥م) ص ٤٩-٥٠، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٣٢، ٣٣٤-٣٣٥؛ مج٢، ص١٤٢-١٤٣، ١٩٤، ٢٠٦، ٢٠٨-٢٠٩.

العتيق، ومقبرة العناز التي تعرف أيضًا بتربة غسان، ومقبرة الباب العمادي، ومقابر تل توبة، ومقابر العلويين، ومقبرة الشيخ قضيب الباني الموصلي[١].

ومن أشهر مقابر قرطبة مقبرة الربض العتيقة، ومقبرة مؤمرة، ومقبرة نجم، ومقبرة بني العباس، ومقبرة قريش، ومقبرة متعة،ومقبرة أم سلمة، ومقبرة باب عامر، ومقبرة روضة الصلحاء، قبلي قرطبة، ومقبرة طالوت، وغيرها[٢].

ويتبين لنا من خلال العرض السابق، أن أماكن دفن الموتى قد عرفت في البلاد الإسلامية الأخرى بالمقبرة وبالجبانة، وأنها سميت إما بأسماء القبائل والأشخاص وإما بمواضعها، أما في مصر فقد انفردت بتلك التسمية أي: القرافة التي أصبحت علمًا على الجبانات في مصر.

أما عن خطة المعافر فقد كانت «تمتد من الرصد[٣] إلى سقاية ابن طولون[٤] وهي

---

(١) سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل جـ١، (المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٢م) ص٣٦٥، ٣٦٧.

(٢) محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية (الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م) ص٥٧-٥٨؛ بالباس، ليوبولدوتورس، المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة اليودورودي لابنيا، مراجعة نادية محمد جمال الدين وعبدالله العمير، الرياض ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص٣٧٨-٣٨٢.

(٣) الرصد: «هذا المكان شرف يطل من غربيه على راشدة، ومن قبليه على بركة الحبش، فيحسبه من رآه من جهة راشدة جبلاً، وهو من شرقيه سهل يتوصل إليه من جهة القرافة بغير ارتقاء ولا صعود، وكان يقال له قديمًا الجرف، ثم عرف بالرصد لأن الأفضل بن بدر الجمالي أقام فوقه كرة لرصد الكواكب فعرف من حينئذ بالرصد»، المقريزي، الخطط، جـ١، ص١٢٤-١٢٥، مج ١، ص ٣٤٠.

(٤) لا تزال هذه السقاية، أو القناطر، قائمة بعض عقودها إلى اليوم، وتعرف أيضًا بمجرى الإمام وموقعها بالبساتين. فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، مج١، عصر الولاة، القاهرة ١٩٧٠م، ص٥٠١، سامي محمد نوار، المنشآت المائية بمصر منذ الفتح =

القناطر التي تطل على عفصة، وتفصل بين القرافتين[١] والقناطر للمعافر ولهم إلى مصلى خولان، وإلى الكوم المشرف على المصلى»[٢] .

=

الإسلامي وحتى نهاية العصر المملوكي، الإسكندرية، دار الوفاء، (١٩٩٩م)، ص٧٣، وانظر أيضًا ص٦٧-٧٢ من هذا الفصل.

(١) عرفت هذه المصلى بطائفة من العرب الذين شهدوا فتح مصر، ويقال لهم: خولان، وهم من قبائل اليمن، وفي هذه المصلى مشهد الأعياد ويؤم الناس ويخطب لهم بها في يوم العيد خطيب جامع عمرو بن العاص، ويستفاد مما ذكره المقريزي أن هذه المصلى كانت عند درب السباع، وأنه يعرف بالمصلى القديم، حيث الكوم المطل على قبر القاضي بكار، كما يذكر أن من خرج من مصلى مصر القديم، وموضعه الآن (أي في زمن المقريزي) الكوم الذي يطل على قبر القاضي بكار بالقرافة الكبرى كان يرى بركة الفيل وقارون والنيل.
المقريزي، الخطط، جـ١،ص٣٠٥، جـ٢، ص١٦١ ، ٤٥٤.
أما ابن خلكان فقد حدد لنا موقع هذا المصلى تحديدًا دقيقًا فيذكر أنه كان يقع قرب قبر القاضي بكار الذي كان بالقرب من مشهد آل طباطبا. ابن خلكان، وفيات، مج١، ص٢٨٢.
وبما أن مشهد آل طباطبا لا يزال موجودًا للآن (قرب حمامات عين الصيرة) وكان يوجد بالجهة الشمالية الشرقية منه قبر القاضي بكار الذي أزيل منذ عهد قريب، عند فتح الشارع الجديد الذي يبدأ من عند سبيل الوسية بعين الصيرة وينتهي قرب مشهد الإمام الليث بن سعد فيكون مشهد آل طباطبا على يمين الذاهب في هذا الشارع، والقاضي بكار على يسار الذاهب ونضيف فنقول: إنه يوجد كوم فوقه نخلتان بالجهة الشمالية الشرقية من مشهد آل طباطبا يعرف باسم قبر القاضي بكار هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الخرائط القديمة التي رسمت لهذه المنطقة قبل شق هذا الطريق قد بينت موضع هذا القبر وبناءً على ذلك نستنتج أن مصلى خولان كان يقع قرب قبر القاضي بكار؛ أي في نفس المنطقة التي لا يزال يوجد بها للآن مشهد آل طباطبا (انظر الخريطة رقم ١) .

(٢) المقريزي، الخطط، جـ١،ص٢٩٨، مج ٢، ص٣٦.
يوسف أحمد، مدينة الفسطاط (المحاضرات الأثرية، المحاضرة الثانية، القاهرة، ١٩١٧)، ص١٥.
Massignon (L) : La Cite Des Mort sau Au Caire (Le caire, 1958) p1:1.

ويدلنا هذا النص على أن خطة المعافر، كانت تشغل مساحة كبيرة من الأرض احتوت بطون هذه القبيلة، ذات الأعداد الكثيرة، ومنهم بنو موهب، وبنو خليف، وبنو سريع، والأخمور، والأعموق، والأهجور، وبنو قرافة[١].

وبناءً على ما سبق ذكره، يمكن تحديد موضع خطة المعافر، على وجه التقريب، فقد كانت تمتد فيما بين بركة الحبش[٢] جنوبًا، ومصلى خولان شمالاً، وقناطر ابن

---

(١) عبد الله خورشيد، القبائل العربية، ص١٦٣، ١٦٦-١٦٧.

(٢) «تقع بركة الحبش في ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها، فيما بين الجبل والنيل، وقد كانت هذه البركة من الموات، فاستنبطها قره بن شريك والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك فأحياها وغرسها قصبا وكانت تعرف ببركة المعافر وبركة حمير، وكان في شرقيها جنات تعرف بالحبش فنسبت إليها، وكان ماء النيل يدخل إليها من خليج بني وائل وحدودها أربعة: الحد القبلي ينتهي بعضه إلى أرض العدوية، يفصل بينهما جسر إلى بساتين الوزير، والحد البحري ينتهي بعضه إلى أبنية الأدر، والحد الغربي ينتهي إلى النيل ودير الطين، والحد الشرقي إلى حد بساتين الوزير».
القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٣، ص٣٤٠، المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٥٥،١٥٢، سعاد ماهر، حفائر كلية الآثار بظاهر مدينة الفسطاط، (مجلة كلية الآثار، العدد الأول ١٩٧٥م)، ص٩٥-٩٦.

Kubiak: Op. cit pp.166-167.

وهذا يعني أن بركة الحبش، كانت تشغل المساحة الممتدة حاليًا من البساتين بجوار هضبة قناطر ابن طولون إلى المنطقة المعروفة حاليًا بدار السلام وأثر النبي، ويكاد يتفق هذا التحديد مع ما جاء في المصادر التاريخية، إلا أنه يخالف الموضع الذي وضعه كازانوفا لهذه الخطة في خريطته، فقد جعلها تشغل جزءًا من المربع الثالث من اليمين، وكل المربع الرابع وجزءًا من الخامس، وكان الأجدر أن تمتد لتشغل أيضًا كل من المربعين الخامس والسادس وجزءا من السابع، حيث تنتهي عند مصلى خولان وقبر القاضي بكار والنصوص التاريخية صريحة في هذا الشأن كما سبق القول، انظر خريطة رقم (١) ولمزيد من التفاصيل عن هذه البركة انظر، محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، القاهرة =

طولون شرقًا، والرصد غربًا، وهذا يعني أن القرافة قد شغلت موضع خطة المعافر كلها (خريطة ١).

هذا ويذكر بعض العلماء أنه لما أهمل شأن الفسطاط في العصر الفاطمي امتدت حدود المقابر، حتى طغت على مساكن خطة المعافر التي خلت من ساكنيها وعلى مساكن بني قرافة التي هي فرع من الأولى، ومن هنا أطلق اسم القرافة على المدافن بتلك الجهة أولاً، ثم عم سائر المدافن[١].

والواقع أنه إذا كان موضع خطة المعافر، قد تحول كله إلى مقابر أطلق عليها اسم القرافة كما سبق القول، إلا أن هذا لم يكن بسبب إهمال شأن الفسطاط، وبالتالي القرافة في العصر الفاطمي، ومما يؤكد ذلك أن الخلفاء الفاطميين اهتموا بالفسطاط وبالقرافة منذ وطئت أقدامهم أرض مصر فبنوا فيها أي: القرافة المساجد، والمشاهد والأربطة، والجواسق، والقصور، والحمامات، مما يدل على أن القرافة شهدت نهضة عمرانية كبيرة لم تشهدها قبل العصر الفاطمي[٢] كما أنهم أي: الفاطميين اهتموا بحفظ الأمن بجهات القرافة منذ أن قدم المعز إلى مصر ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م[٣].

وفي ضوء ذلك يمكن القول بأنه لم يهمل شأن الفسطاط، وبالتالي القرافة خلال العصر الفاطمي، بل العكس هو الذي حدث، والصحيح في ذلك أن خراب

=

(١٩٩٩م)، ص ٩١-٩٧، عبدالعال الشامي، السرحات السلطانية، الكويت ١٩٩٤م، ص ٩٣-٩٨، مدن مصر وقراها في القرن الثامن الهجري، (١٩٩١م) ص ٦٥-٦٦، ١٧٥-١٧٦.

(١) علي بهجت وألبير جبريل، حفريات الفسطاط، ترجمة علي بهجت ومحمود عكوش، القاهرة ١٩٢٨م، ص٣٣.

(٢) انظر ص ٤١-٧٥ من هذا الفصل.

(٣) انظر ص ٣٤٩-٣٥٢ من الفصل الثالث.

الفسطاط، وبالتالي القرافة، لم يكن بسبب إهمال الفاطميين لها، وإنما كان بسبب الأحداث الجسام التي تعرضت لها مصر في النصف الثاني من العصر الفاطمي، ولا سيما الشدة العظمى المستنصرية[١] وحريق الفسطاط[٢].

---

(١) اجتاحت المجاعة مصر لمدة سبع سنوات، بدأت في عام ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م، واشتهرت هذه المجاعة باسم الشدة العظمى أو الشدة المستنصرية، وعن أسباب هذه المجاعة ونتائجها انظر: المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٣٥-٣٣٧، مج ٢، ص ١٣٥-١٤٢؛ إغاثة الأمة بكشف الغمة، دار الوليد ١٩٥٦، ص٢٣.

عبد المنعم ماجد، الإمام المستنصر بالله الفاطمي، القاهرة (١٩٦١م) ص، ١٥٩،١٥٦، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، التاريخ السياسي (الإسكندرية ١٩٦٨م)ص، ٣٦٦-٣٦٩، راشد البراوي، حالة مصر، ص ٨٨-٩٩.

أحمد الصاوي، أثر المجاعات على النواحي المالية والحضارية زمن الفاطميين (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة ١٩٨٤م ص، ١٠٣-١٠٩، (هذا وقد طبعت هذه الرسالة ونشرت تحت عنوان: مجاعات مصر الفاطمية، أسباب ونتائج، بيروت ١٩٨٨)ص ٢٥-٧١.

محمد بركات البيلي، الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٦م.

(٢) حدث هذا الحريق في أواخر العصر الفاطمي بعد أن اشتد الصراع واحتدم النزاع بين كل من الوزيرين شاور وضرغام، وكان ذلك في عام ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م. ولمزيد من التفاصيل:

ابن الأثير (أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين) ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م الكامل في التاريخ، ط٣، بيروت ١٩٨٠ م جـ٩، ص٩٩،

أبو شامة، (شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن المقدسي الشافعي) ت٦٦٥هـ/١٢٦٨م الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، القاهرة ١٢٨٧ هـ/ ١٨٧٠م، جـ١، ص١٥٤.

المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٣٧، ٣٣٩، مج، ص ١٤٢-١٤٥؛

حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ط٢، ١٩٥٨ ص١٩٤،

عبد المنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، ط٢، ص٤٦٩ -٤٧٠،

سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، القاهرة ١٩٦٩، ص٢٠،

عبد الرحمن زكي، القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ، القاهرة ١٩٦٦م، ص٤.

=

وكان لهذين الحادثين أثرهما الكبير في خراب الفسطاط بصفة عامة، والقرافة بصفة خاصة، وفي ذلك يذكر السخاوي «فلما جاء خلفاء الفاطميين إلى الديار المصرية، ونزلوا بها واختطوا القاهرة، اتخذوا القرافة الكبرى سكنًا، وبنوا فيها المساجد والقصور، والصهاريج، ونزل غالبهم بها، وضاقت بهم، فأصابها عين الحاسد، بحريق مصر والجامع العتيق، وجامع الأولياء، أي: جامع القرافة، ثم حصل في الدولة المستنصرية (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) الغلاء العظيم، فخرب غالب المعمور بها، ثم جاء الفناء فخرب الباقي، وانقطع المعروف الواصل لها من الناس»[١].

وتفصيل ذلك: أنه أعقب الغلاء الذي حدث بمصر زمن المستنصر الفاطمي خراب الفسطاط، والعسكر، والقطائع، وظاهر مصر مما يلي القرافة، حيث الكيمان الآن أي: زمن المقريزي، إلى بركة الحبش، ثم أمر بدر الجمالي[٢] بنقل أنقاض ظاهر مصر مما يلي القاهرة، حيث كان العسكر والقطائع، وصار فضاءً وكيمانًا فيما بين

=

أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٢٢١-٢٣٠، ط ٢ (٢٠٠٠م)، ص ٢٩٦-٢٩٧.

(١) السخاوي، تحفة الأحباب، ص ١٨٠ .

يلاحظ هنا أن السخاوي قد قدم حريق الفسطاط على الشدة المستنصرية، ولم أحاول تغيير النص حفظًا لسياق المؤرخ نفسه.

(٢) هو بدر بن عبد الله الجمالي أمير الجيوش المتوفى ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م.

ابن خلكان، وفيات، مج٢، ص٤٤٨-٤٥٠، ابن العماد (أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي) ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م،

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، ج٣، ص٣٨٣، أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية، ص١٤٣-١٥٣، ط٢ (٢٠٠٠م)، ص ٢٠٩-٢١٩؛ يمنى رضوان، الأسرة الجمالية، ص ٦٦-٧٣.

مصر والقاهرة، وفيما بين مصر والقرافة[١].

ولم يستمر هذا الوضع طويلاً، فقد أمر الخليفة الآمر بأحكام الله[٢] وزيره المأمون بن البطائحي بتعمير الخراب والفضاء، فيما بين باب زويلة والسيدة نفيسة فعمرت الخرائب، وأصبح الفضاء عامرًا[٣].

وقام الخليفة الآمر أيضًا بتعمير القرافة، فجدد بعض قصورها، وجواسقها ومشاهدها، ورباطاتها[٤].

مما سبق يمكن القول: بأن القرافة شهدت ازدهارًا عمرانيًا في الفترة التي أعقبت الشدة المستنصرية، إلى أن كان حريق شاور لمدينة مصر الذي كان له أثره الضار والسيئ على الفسطاط، وبالتالي القرافة، وفي ذلك يذكر المقريزي «فمن حينئذ خربت مصر الفسطاط هذا الخراب الذي هو الآن -أي زمن المقريزي- كيمان مصر، وتلاشى أمرها وافتقر أهلها، وذهبت أموالهم، وزالت نعمهم[٥].

ويضيف ابن تغري بردي فيقول: إن جامع القرافة احترق في السنة التي احترق فيها جامع عمرو بن العاص ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م[٦].

---

(١) المقريزي، الخطط، جـ١ ص٣٣٧.

(٢) الآمر بأحكام الله هو المنصور بن أحمد المستعلي بن المستنصر، حكم فيما بين ٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١- ١١٣٠م،
ابن خلكان، وفيات مج٥، ص٢٩٩؛ المقريزي، الخطط جـ١، ص٣٥٧، جـ٢، ص٢٩٠-٢٩١.

(٣) المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٠٥،
حسن عبد الوهاب، تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها، ١٩٥٧، ص١٤.

(٤) انظر ص ٦٥ من هذا الفصل.

(٥) المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٣٩، مج ٢، ص ١٤٥.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم، جـ٤، ص١١٣.

ثانياً: الموقع

(خرائط ١-٣)

استعمل سفح جبل المقطم[١] وامتداده كقرافة من الفتح العربي لمصر، وقد جاء في ذكر سبب تسميته بهذا الاسم روايات كثيرة[٢] لعل أقربها إلى الواقع الروايات التي تذكر أنه سمي بذلك الاسم؛ لأنه قطعت أطرافه[٣]، أو تلك التي تذكر أن المقطم مأخوذ من القطم، وهو القطع، فكأنه لما كان منقطع الشجر والنبات سمي

---

(١) يطلق اسم جبل المقطم على حافة الوادي الشرقية كلها تجاوزًا، ولكن يقصد به على وجه التحديد ما يطل من الحافة على الفسطاط والقاهرة.
عبد العال الشامي، مصر عند الجغرافيين العرب، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٧٣، ص٧١.

(٢) أحيط جبل المقطم بهالة من القداسة، ووردت بذلك عدة روايات منها أنه عرف بالمقطم نسبة إلى مقطم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح -عليه السلام-، وكان رجلاً صالحًا انفرد بهذا الجبل؛ لعبادة الله تعالى فعرف به، ورواية أخرى تقول: إنه عرف بهذا الاسم من أجل مقيطام الحكيم كان يعمل فيه الكيمياء، واختصر من اسمه وبقي ما يدل عليه فقيل له: جبل المقطم يعني جبل مقيطام الحكيم.
القلقشندي، صبح الأعشى جـ٣، ص٣٠٩-٣١٠، المقريزي، الخطط، جـ١، ص١٢٤، مج١، ص ٣٣٥-٣٣٦.
البكري، (محمد بن محمد أبي السرور زين العابدين بن محمد أبي المكارم البكري الصديقي) ت ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م، قطف الأزهار من الخطط والآثار، مخطوط، دار الكتب المصرية ٤٥٧ جغرافيا، ميكروفيلم ٤٥٨٥٢، ورقة ١٥-١٦.
كازانوفا (نول) تاريخ ووصف قلعة القاهرة، ترجمة أحمد دراج، مراجعة جمال محرز (القاهرة ١٩٧٤م) ص٦٠.

(٣) ابن ظهيرة (من علماء ق ٩هـ/ ١٥م).
الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، دار الكتب ١٩٦٩م، ص١٩١.

مقطمًا[١].

والواقع أنه بالنظر إلى جبل المقطم نجد فيه كثيرًا من العيوب والانكسارات الرئيسية، وأن مجرد هذا الاسم المقطم، يدل على هذا الجبل الذي يبدو للعيان وكله ثنايا وخطوط أفقية متكسرة أو مقطومة[٢].

مما سبق يمكن القول بأن جبل المقطم عرف بهذا الاسم نظرًا لأنه مقطوم أي: مقطوع بمعنى أن أجزاءه غير مرتبطة أو غير متصلة ببعضها البعض.

هذا ويلي المقطم من جهة الشمال اليحاميم[٣]، وهي الجبال المتفرقة المطلة على

---

(١) الخزرجي، مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (مخطوط) جـ١ ورقة ٣ وجه.
القلقشندي، صبح الأعشى، ص٣١٠.
المقريزي، الخطط، ص١٢٤.
البكري، قطف الأزهار، ورقة ١٦.
ومما له دلالته في هذا الصدد ما ذكره ياقوت من أن القطم هو العض بأطراف الأسنان، والقطم تناول الحشيش بأدنى الفم، فيجوز أن يكون المقطم الذي قطم حشيشه-أي أكل-؛ لأنه لا نبات فيه، أو يكون من قولهم فحل قطم وهو شدة اغتلامه فشبه بالفحل الأغلم؛ لأنه اغتلم -أي هزل- فلم يبق فيه دسم، وكذلك هذا الجبل لا ماء فيه ولا مرعى.
الحموي، معجم البلدان، مج٨، ص١٢٦.

(٢) فؤاد فرج، القاهرة، ج١، القاهرة ١٩٤٣م، ص٩٨.
فتحي الحديدي، دراسات في مدينة القاهرة، ١٩٨٢م، ص٥٧.
والواقع أن هذه الصدوع والانكسارات، قد نتجت من الاضطرابات الأرضية التي أصابت مصر في عصر الأوليجوسين، وصحبتها مظاهر قوية من النشاط البركاني.
محمد صبري الدين، مورفولوجية الأراضي المصرية، ط٢، ١٩٧٧، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ص٣١٠-٣١١.
المقريزي، الخطط، ص١٢٥، مج ١، ص ٣٣٨.
عبد العال الشامي، مصر عند الجغرافيين العرب، ص٦١.

القاهرة من جانبها الشرقي، وقيل لها: اليحاميم لاختلاف ألوانها، واليحموم في لغة العرب الأسود المظلم، ويقصد بها الجبل الأحمر وما والاه[١].

ومن الملاحظ أن جبل المقطم، والجبل الأحمر، يكتنفان عواصم مصر الإسلامية من الجهة الشرقية، مما منع التوسع الطبيعي لهذه العواصم نحو الشرق؛ لأنهما يضيقان الخناق عليها، ولكن هذه السلسلة الجبلية تنتهي مباشرة شمال الجبل الأحمر، وتنفرج الأرض شاسعة، مما سمح بتوسع مدينة القاهرة الكبرى في مدينة نصر ومصر الجديدة وامتدادهما في العصر الحديث[٢].

هذا عن المقطم وتسميته وامتداده؛ أما عن السبب الذي من أجله استعمل المسلمون سفحه قرافة لهم[٣]، فقد رويت في هذا الصدد روايات كثيرة ذكرها ابن

=

إبراهيم عبد الحميد، قاموس الألوان عند العرب، القاهرة (١٩٨٩)، ص٤٩.

(١) ابن عبد الظاهر، محيي الدين، ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة ١٩٩٦، ص١٤١.

يذكر محمد رمزي أن هذا الجبل لا يزال معروفًا بهذا الاسم، وأن حجارته ورمله لونها أحمر داكن، وهو واقع شمال المقطم، ويشرف على الفضاء الواقع شرقي باب النصر من القاهرة ويشرف على قرافة المماليك الكبرى ويقصد صحراء المماليك.

تعليقات محمد رمزي في النجوم الزاهرة، دار الكتب، ١٩٣٠، جـ٧، ص٢٦١-٢٦٢.

هذا ولا تزال منطقة الجبل الأحمر هي المورد الرئيسي لجلب الزلط والرمل؛ لأعمال البناء في القاهرة. فتحي الحديدي، دراسات ص٥٩.

(٢) فتحي الحديدي، دراسات، ص٥٩.

(٣) يذكر المقدسي أن المقابر بين مصر والجبل -أي أنها في سفحه- كما يذكر أن بالمقطم (مشاهد ومواضع يفضلونها وصوامع يقصدونها ليالي الجمع).

المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله) ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م.

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن ١٨٩٢م ص٢٠٩، ويذكر الإصطخري، وعند =

عبد الحكم[١] والكندي[٢] ومن نقل عنهما من المتأخرين[٣].

=

هذا الجبل بحذاء الفسطاط قبر الشافعي في جملة المقابر.

الإصطخري (أبي إسحاق إبراهيم بن محمد) توفي في النصف الأول من ق٤ هـ/ ١٠م المسالك والممالك، تحقيق جابر الحيني، سلسلة تراثنا، القاهرة ١٩٦١، ص٤٠.

ويذكر ابن سعيد أن في سفح هذا الجبل مقابر أهل الفسطاط والقاهرة. ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب تحقيق، زكي محمد حسن وآخرون، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٣م، ص١١.

ويذكر المقريزي نقلاً عن البكري أن المقطم «جبل متصل بمصر يوارون فيه موتاهم» المقريزي، الخطط، ص١٢٤.

(١) ابن عبد الحكم، (أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) ت ٢٥٧ هـ/ ٨٧٠م.
فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد صبيح، ١٩٦٨م، ص١٠٨.

(٢) الكندي (عمر بن محمد بن يوسف).
فضائل مصر، تحقيق إبراهيم العدوي، علي محمد عمر، القاهرة ١٩٧١م، ص ٦٣-٦٤.

(٣) البكري، أبي عبيد، ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م؛ المسالك والممالك، جـ٢، تحقيق أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، تونس، ١٩٩٢م، ص٦١٣-٦١٥، جغرافية مصر من كتاب الممالك والمسالك لأبي عبيد البكري، بحث وتحقيق عبدالله الغنيم، الكويت (١٩٨٠م)، ص ٧٧-٨٠.
ابن مماتي (الأسعد) ت٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م.
قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣م ص٨٢-٨٣.
ابن سعيد، المغرب ص١١-١٢.
الخزرجي، مرشد الزوار، ورقة ٣ وجه وظهر.
القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد، وأخبار العباد، بيروت ١٩٨٤، ص٢٧٠
ابن الحاج ،(أبو عبد الله محمد بن محمد بن العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج) ت ٧٣٧ هـ/ ١٣٣٦م، المدخل، مج١، ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .
القلقشندي، صبح الأعشى، ص٣٠٦.
المقريزي، الخطط، ص ١٢٤، مج ١، ص ٣٣٧-٣٣٨.
ابن ظهيرة، الفضائل، ص ١٠٨.
السيوطي، (جلال الدين عبد الرحمن) ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م.

=

وتكاد تتفق هذه الروايات جميعها، على أن هذا الجبل مقدس ومبارك ونبيه الذكر في الكتب السماوية، وأنه ينبت فيه غراس الجنة وشجرها، وأن من يدفنون فيه يبعثهم الله يوم القيامة ولا حساب عليهم، وربما يفسر ذلك من وجهة نظر هؤلاء المؤرخين مدى رغبة المقوقس وحرصه على أن يشتري سفح هذا الجبل بسبعين ألف دينار ولما علم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) بذلك من عمرو بن العاص واليه على مصر، أمره بأن يجعل هذا السفح مقبرة للمسلمين؛ لأنهم الذين تتوفر فيهم الصفات السابقة، ولما علم المقوقس بذلك غضب وقال لعمرو «ما علي هذا صالحتني فقطع له عمرو قطيعًا نحو بركة الحبش يدفن فيه النصارى»[1].

والواقع أن هذه الروايات، لا يمكن أن تؤخذ دليلاً كافيًا على استخدام سفح المقطم كقرافة للمسلمين، وإنما تعد صورة من صور الدعاية لهذا الجبل، ولفت أنظار الناس إليه، وتشويقهم لزيارته، وكثرة التردد عليه، ويؤكد ذلك أنه ذكرت روايات مشابهة على الجبال الموجودة في البلاد الإسلامية الأخرى، كسفح جبل

=

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة جـ١،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٣٨.

ابن إياس،(محمد بن أحمد بن إياس الحنفي) ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م.

بدائع الزهور في وقائع الدهور جـ١،ق١، تحقيق محمد مصطفى، ص ١٠٨.

(١) المقريزي، الخطط، جـ١، ص ١٢٤، مج ١، ص ٣٣٧. البكري، قطف، ورقة ١٦. ويضيف البكري فيقول: إن هذا القطيع صار الآن أي في زمنه «مقبرة اليهود» هذا ولا تزال مقابر اليهود قائمة لليوم في البساتين قرب قناطر ابن طولون على يمين الذاهب إلى المعادي الجديدة، وهذا الموقع يتفق مع ما ذكره المقريزي والبكري، من أن هذا القطيع كان قرب بركة الحبش التي أقام عندها ابن طولون قناطره المعروفة والموجودة هناك حتى الآن.

قاسيون بدمشق[1]، مما يبين لنا أن صور الدعاية هذه كانت شائعة لدى مؤرخي العصور الوسطى سواء في مصر أو في غيرها من البلدان الإسلامية.

ومن ناحية أخرى ذكرت روايات مشابهة أيضًا على البقيع وهو مقبرة أهل المدينة المنورة[2].

---

(١) قَاسِيُون، بفتح القاف، وبعد الألف سين مكسورة مهملة، وضم الياء المثناة من تحتها، وبعد الواو الساكنة نون، وهو جبل مطل على دمشق، وفيه قبور أهلها وتربهم وفيه رباطات ومدارس وجامع».
ابن خلكان، وفيات، مج١، جـ٢، ص٣٤٢.
وقد أحيط هذا الجبل بهالة من القداسة، ورويت عنه روايات كثيرة أقرب إلى الأساطير، تبين فضل الدفن في سفحه والدعاء فيه والتردد عليه.
ابن طولون الصالحي، (محمد) ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م.
القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط٢، دمشق ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، القسم الأول، ص٨٧، ٩٤، ومقدمة التحقيق، ص٣٨-٤٢؛ محمد أحمد دهمان، في رحاب دمشق، دار الفكر، ١٩٨٢م، ص١١-١٤.
شاكر مصطفى، آل قدامة والصالحية، حوليات آداب الكويت، الرسالة ١٤ في التاريخ الحولية الثالثة، ١٩٨٢م، ص١٩-٢٠.
هذا ونلاحظ أن هذه الروايات عن سفح قاسيون، تكاد تتفق مع تلك التي ذكرت عن سفح المقطم؛ وهذا التشابه يصور لنا الاتجاهات الدينية في وضع الروايات، والقصص، والأساطير التي تبين فضائل الأماكن والبلاد.

(٢) البقيع هو موضع مستطيل شرقي المدينة طوله ١٥٠م عرضه ١٠٠م، ويقال له: بقيع الغرقد؛ لأن هذا النوع من الشجر كان كثيرًا فيه، ولكنه قطع.
والبقيع في اللغة: الموضع الذي به أروم الشجر من ضروب شتى، والغرقد كبار العوسج، وقد قطع عند اتخاذها مقبرة، السمهودي (نور الدين علي بن أحمد المصري) ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م.
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة بيروت ١٩٨١م، جـ٤، ص١١٥٤، الحموي، المشترك، ص٦٣.
=

مما سبق نرى أن روايات المؤرخين متشابهة إلى حد كبير، فكل مؤرخ يحاول أن يجمع كل شاردة أو واردة من الروايات والقصص، التي تبين فضل بلده ومقبرتها، والأماكن الموجودة بها، حتى يجعلها مميزة عن مثيلتها في البلاد الإسلامية الأخرى.

ومما يؤكد صدى هذه الروايات واستمرارها حتى بعد نهاية العصر المملوكي ما جاء في وقفية زاوية السادات الوفائية بسفح جبل المقطم، فقد ذكر علي مبارك أن السلطان عبد الحميد أمر «برسم عمارة الزاوية الشريفة كعبة الأسرار القدسية بسفح جبل المقطم المعروف بغراس أهل الجنة المعروفة بزاوية السادات أهل الوفاء»[1].

=

عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة، ط٣، ١٩٧٢م، ص١٧٥.

محمود الشرقاوي، المدينة المنورة، مطبوعات مؤسسة دار الشعب، ط٢، ١٩٧٦م، ص٢٧٨.

ومن هذه الروايات، ما ورد في الكتب المقدسة، كالتوراة، من أن الله سيبعث منه سبعين ألفًا على صورة القمر، كما أن الرسول ﷺ خرج إلى البقيع ذات مرة فقال: «يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، وكأن وجوههم القمر ليلة البدر».

السمهودي، وفاء الوفا، جـ٣، ص٨٨٦-٨٨٧.

(١) علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، جـ٥، جوامع القاهرة، الطبعة الثانية عن طبعة بولاق ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م، القاهرة ١٩٨٦م ص٣١٥.

وتقع هذه الزاوية بسفح الجبل المقطم شرقي الإمام الشافعي وسيدي عقبة، وقد جددها مسجدًا على ما هي عليه الآن -أي زمن علي مبارك- الوزير عزت محمد باشا بأمر السلطان عبد الحميد في سنة ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م، وكان الفراغ في سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م.

مبارك، الخطط، جـ٥، ص٣١٥، الحداد، موسوعة العمارة الإسلامية في مصر، من الفتح العثماني إلى نهاية عهد محمد علي، المجلد الثاني، العمارة الدينية، الجزء الأول، عمائر القاهرة (القسم الأول) القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٠م)، ص٤٩٤-٥١٤.

ويبين لنا هذا النص أن التسمية التي لصقت بجبل المقطم، والتي وصف بها، منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قد استمرت حتى عهد السلطان عبد الحميد في أواخر ق ١٢هـ/ ١٨م.

ومهما يكن من أمر هذه الروايات، إن كانت صحيحة أم غير صحيحة، إلا أنه يمكن القول أنه اشترك مع العامل الديني، عوامل أخرى لا تقل أهمية إن لم تزد، فإن نظرة موضوعية لجغرافية عواصم مصر الإسلامية-الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة- تؤكد حقيقة مهمة، وهي أنه لم يكن هناك مجال للامتداد العمراني لهذه العواصم إلا في الجهة الشمالية الشرقية، أما الجهة الشرقية البحتة فلم يكن ذلك الامتداد ممكنًا، إذ كان جبل المقطم يحول دون الامتداد في هذه الناحية، فاكتفى المسلمون ببناء مقابر موتاهم في سفح هذا الجبل[١].

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن سفح المقطم يبعد عن نهر النيل في الغرب؛ وبالتالي يرتفع مستواه فوق مياه الفيضان، وعن تأثير الرطوبة والرشح، مما يجعل أرض هذا السفح جافة صالحة لدفن الموتى[٢]، كما ساعد ارتفاع المقطم عن مستوى نهر النيل على جفاف هوائه.

ومما يؤكد ذلك سببٌ ذكره المقريزي عندما تحدث عن أسباب بناء القلعة، ولم يلق إليه المؤرخون والعلماء بالاً على اعتبار أنه من الأقوال التي تردد عادة عند بناء المدن والقلاع، إلا أنه يدل هنا دلالة أكيدة على ما امتاز به جبل المقطم من هواء

---

(١) جمال الدين الشيال، تاريخ مصر الإسلامية، جـ١، من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، دار المعارف ١٩٦٧، ص٥٣.

(٢) عبد العال الشامي، مدن الدلتا في العصر العربي من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٧٧م ص١٠٣.
عبد الفتاح وهيبة، جغرافية العمران، الإسكندرية، د.ت ص٢٦٤.

جاف جدًّا، فيذكر المقريزي أن السبب الذي دعا صلاح الدين إلى اختيار مكان قلعة الجبل «أنه علق اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة، فعلق لحم حيوان آخر في موضع القلعة، فلم يتغير إلا بعد يومين وليلتين فأمر حينئذ بإنشاء قلعة هناك»[١].

كما ذكر المقريزي في موضع آخر أن القرافة هي من «أجود المواضع لأن المقطم يعوق بخار الفسطاط من المرور بها»[٢].

ويمكن أن نضيف سببًا آخر، وهو أن سفح المقطم –الواقع شرقي عواصم مصر الإسلامية – يقع في منصرف الرياح[٣] السائدة غالبًا على التل المكشوف، أي إنه موقع مناسب جدًّا غير رديء بالنسبة لهذه الرياح، ومن ثم صار مدينة للأموات[٤].

---

(١) المقريزي، الخطط، ، جـ٢،ص٢٠٣.

(٢) المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٤٠.
هذا وقد ذكر المقريزي أيضًا أن من عيوب الفسطاط الواضحة فساد الطقس بها وأثره السيئ على الصحة، وأن القاهرة أعدل وأجود هواءً، ثم ذكر أن القرافة هي أصح أجزاء المدينة الكبرى وتليها القاهرة والشرف وعمل فوق مع الحمراء والجيزة وشمال القاهرة أصح من جميع هذه لبعده عن بخار الفسطاط وقربه من الشمال.
المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٦٦.

(٣) تسود الرياح الشمالية في القاهرة طول العام، وقد تنحرف هذه الرياح، وتميل نحو الغرب أو الشرق، وذلك حسب الفصول المختلفة، ولمزيد من التفاصيل انظر:
جمال الدناصوري، دراسات في جغرافية مصر، الألف كتاب، العدد ١٣٩، القاهرة (١٩٥٧)، ص١٦٥-١٦٦.

(٤) محمد حسنين مكاوي، التقدم العمراني لمدينة القاهرة والمدن المصرية الأخرى القاهرة (١٩٣٨) ، ص٧٩.
ديزموند ستيوارت، القاهرة، ترجمة يحيى حقي، مقدمة جمال حمدان، كتاب الهلال، العدد ٢١٦، القاهرة (١٩٦٩م) ص٢١، ٦٠.

هذا وقد ذكر ابن ظهيرة عن البكري أن بجبل المقطم خاصية عجيبة لا توجد في غيره وهي «حفظ أجساد الموتى، بحيث لا تكاد تبلى إلا بعد دهر طويل»[١].

والواقع أن ما ذكره البكري ليس إلا نتيجة طبيعية مباشرة لما امتاز به سفح هذا الجبل من جفاف أرضه وهوائه، وبعده عن خطر الفيضان، وتأثير الرشح والرطوبة كما سبق القول.

مما سبق نرى أنه اجتمعت عدة عوامل جعلت من سفح جبل المقطم مكانًا مناسبًا وملائمًا وصالحًا؛ ليكون مقبرة للمسلمين من الفتح العربي لمصر بل وحتى اليوم.

ومما هو جدير بالذكر أن قانون الجبانات بجمهورية مصر العربية، قد حدد عدة شروط ينبغي توافرها عند اختيار مواقع الجبانات الجديدة أو امتداد الجبانات القائمة[٢]، ومن الملاحظ أن هذه الشروط تتفق تمامًا مع العوامل التي ذكرناها من قبل.

---

(١) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ١٩١.

(٢) قانون الجبانات ولائحته التنفيذية، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٨٢م، ص١٠.

ثالثًا: القرافة الكبرى وازدهار العمران[١] بها حتى نهاية العصر الفاطمي (خرائط ١ -٣)

سبق القول أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أمر واليه على مصر عمرو بن العاص، أن يتخذ سفح المقطم مقبرة يدفن فيها أموات المسلمين[٢]، ومن ثم استخدم هذا السفح وامتداده كقرافة للمسلمين منذ هذا الوقت حتى نهاية العصر المملوكي بل وحتى الآن.

ويذكر المقريزي أن أول قرافة للمسلمين كانت تقع شرقي الفسطاط بجوار المساكن، وكانت تمتد فيما بين مصلى خولان وخط المعافر[٣]، وهذا يعني أن القرافة كانت تشغل مساحة كبيرة تمتد من عند بركة الحبش في الجنوب إلى مصلى خولان في الشمال، ومن قناطر ابن طولون في الشرق إلى الرصد في الغرب، وقد عرفت هذه القرافة باسم القرافة الكبرى[٤]، واستخدمت لدفن أموات المسلمين منذ افتتحت

---

(١) عن مدلول لفظ العمران انظر ص ١٢٢ من الفصل الثاني.

(٢) ذكر المؤرخون أن أول من دفن بالقرافة رجل يقال له: عامر، فقيل: عمرت.
ابن عبد الحكم، فتوح مصر ، ص١٠٨.
السيوطي، حسن المحاضرة، جـ١،ص١٣٧.

(٣) المقريزي، الخطط، جـ٢،ص٤٤٢، وعن موضع مصلى خولان وخط المعافر انظر ص٢٤-٢٥ من هذا الفصل.

(٤) ربما جاءت تسمية هذه القرافة بالكبرى؛ نظرًا للامتداد الكبير الذي كانت تشغله، أو لأن بعض مؤرخي المزارات قسم القرافة إلى جهتين في جزأين جهة كبرى وجهة صغرى «وذلك بغرض تسهيل زيارة مشاهد آل البيت والأولياء والصالحين والفضلاء المدفونين بها.
ابن الزيات، الكواكب السيارة، ص٥.

أرض مصر، واختط العرب مدينة الفسطاط، ولم تكن لهم مقبرة سواها[١].

وقد تبقى من موضع هذه القرافة حاليًا المنطقة الفضاء فيما بين مسجد الإمام الليث بن سعد، وسور الفسطاط الشرقي[٢]، الذي لا تزال آثاره باقية (وكان يعرف

---

(١) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٢، هذا وقد جانب الصواب أحد الباحثين المحدثين حول تحديد ما يعرف بالقرافة الكبرى، فذكر أنها تشغل المنطقة الواسعة الممتدة من أسفل جبل المقطم وحتى مشهد سيدي عقبة بن عامر مرورًا بمنطقة البساتين والتونسي.
محمد محمد الكحلاوي، آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ص١٠٦ حاشية ١، ويكفي للرد على هذا الرأي غير المدعم بالأسانيد العلمية مراجعة ما ورد بشأن القرافة الكبرى في هذا الفصل ولا سيما ما يتعلق بموضعها وحدودها وامتدادها الأصلي.

(٢) لا تزال توجد بعض أجزاء متقطعة من هذا السور الشرقي، تبدأ من مجرى العيون عند انقطاعها نحو الشرق إلى القلعة، ثم تتجه نحو الجنوب شرقي تلال عين الصيرة وشرقي الموقع القديم لمدينة الفسطاط، ثم تميل إلى الغرب حيث تنقطع أجزاء السور في الجنوب الشرقي لقصر الشمع تجاه كوم غراب بمصر القديمة.
كازانوفا، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ص٥٩، حاشية٢.
وإذا كان المقريزي ذكر أن صلاح الدين لم يتهيأ له أن يصل سور قلعة الجبل بسور مدينة مصر إلا أنه ذكر في موضع آخر أن قراقوش مد السور من قلعة الجبل إلى باب القنطرة خارج مصر مما يدل على بناء هذا السور، وقد كشفت الحفائر أجزاء كثيرة من هذا السور، وقد قام بهذه الحفائر علي بهجت أولاً الذي لم يستطع دراسة هذا السور دراسة وافية بسبب وفاته، ثم كشف الأستاذ حسن الهواري عن عدة أجزاء أخرى من السور واقعة في الجهة القبلية من أطلال الفسطاط، وهي على صغر أطوالها هامة؛ لأنها تبين ميل السور في هذه الجهة واتجاهه نحو شاطئ النيل، أما عن أطوال هذه الأجزاء المكتشفة فقد بلغت ١١٩٨.٢٥م منها ٣٥٧م كشفها علي بهجت، ٨٤١.٢٥ كشفها الهواري.
عبد الرحمن زكي، قلعة مصر من السلطان صلاح الدين إلى الملك فاروق الأول، القاهرة ١٩٥٠م، ص١٢٦، ١٣٢، ١٣٤، ولمزيد من التفاصيل انظر: أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة =

بسور مدينة مصر)، وكان يفصل بين القرافة ومصر كما ذكر المقريزي[١].

أما امتدادها الأصلي فكانت تمتد شرقًا حتى تنتهي عند قناطر ابن طولون بالبساتين كما سبق القول، بل إنها تجاوزت هذا الحد أيضًا، وهذا يعني أن كلاً من مشهد عقبة بن عامر، والإمام الشافعي كانا يقعان في القرافة الكبرى منذ البداية – وفي الغرب كانت القرافة الكبرى تنتهي عند الرصد، الذي كان يمثل هو والقباب السبع التي لا تزال باقية، آخر حدود القرافة الكبرى من هذه الجهة[٢]، أما في الشمال فقد امتدت إلى أن وصلت إلى الموضع الذي بنيت عليه قلعة الجبل، فيما بعد -أي في العصر الأيوبي- ويدل على ذلك:

أ- أن السيدة نفيسة -رضي الله عنها- عندما توفيت ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م، دفنت فيما بين مصر والقاهرة في المنطقة التي كانت تعرف بدرب السباع[٣]؛ وسرعان ما

=

القاهرة ١٩٩٢م.

(١) المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٤٣.

محمد رمزي، الجغرافيا التاريخية لمدينة القاهرة (مجلة العلوم، المجلد ٥، السنة٩، ١٩٤٢م) ص ٦٤٨.

كازانوفا، تاريخ ووصف، ص٥٢.

(٢) ابن الزيات، الكواكب، ص١٨٣.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٩.

السخاوي، تحفة الأحباب، ص٢٩٧.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٥، ص٤٢٤.

ابن كثير، (عماد الدين أبي الفدا ابن كثير القرشي الدمشقي) ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م؛ البداية والنهاية في التاريخ، الطبعة الأولى ١٩٣٢، جـ١٠، ص٢٦٢.

السيوطي، حسن المحاضرة، جـ١، ص٥١١.

Russel (D) : Anote on the cemetry of the Abbasid caliph of Cairo and the shrine of

=

اتصلت بالقرافة الكبرى حيث كان يوجد بالقرب منها مصلى خولان، وكان كثير من الناس يفضلون الدفن بجوارها تبركًا واعتقادًا فيها.

ب- ومما يؤكد أيضًا أن القرافة الكبرى، قد امتدت حتى وصلت إلى السيدة نفيسة وموضع قلعة الجبل دفن القاضي بكار عند مصلى خولان ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م[١]، وأيضًا دفن أحمد بن طولون ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م قرب باب القرافة[٢]؛ وهذا يعني أن تربة ابن طولون كانت قرب ميدانه الذي أقامه بعد أن أمر بحرث قبور اليهود والنصارى وبناه في موضعها[٣].

ج- كان يوجد في موضع قلعة الجبل قبة الهواء، ولما زالت الدولة الطولونية ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م، وخرب القصر والميدان، خربت أيضًا قبة الهواء، وبني في موضعها مقابر ومساجد، مما يدل على أنه كان يشغل موضع القلعة في العصر الفاطمي قرافة بنيت بها عدة مقابر ومساجد أشار إليها ابن عبد الظاهر والمقريزي وغيرهما[٤](خرائط ١-٣).

وقد أشار المؤرخون إلى خندق القرافة، ذلك أن عبد الرحمن بن جحدم عامل

=

Saiyida Nafisa, ARS Islamica. Institute of fine arts-University of Michigan-vol vi-1939) p.168.

(١) انظر ص ٢٥، ٦٩-٧٠ من الفصل الأول.

(٢) الخزرجي، مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (مخطوط)، ورقة ٣٣٩.
ابن خلكان، وفيات، مج١، ص١٧٤.
ابن الزيات، الكواكب، ص٢٧٨.
السخاوي،تحفة الأحباب، ص٣٦٩.

(٣) الكندي، الولاة والقضاة، ص٢١٥

(٤) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٢٠٢-٢٠٣، ابن عبد الظاهر، الروضة، ص١٣٠-١٣٢.

ابن الزبير[١] على مصر، لما خشي مسير الخليفة الأموي مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ/ ٦٨٣-٦٨٥م)[٢] إلى مصر، شاور جنده فأشاروا عليه بحفر خندق، وبدأ حفره في غرة محرم ٦٥هـ/ ٦٨٥م، فما كان شيء أسرع من فراغهم منه، إذ حفروه في شهر واحد، أو قريب من شهر، وكان هذا الخندق يبدأ من المكان الذي دفن فيه فيما بعد الإمام الشافعي[٣]، ويخترق أرض القرافة إلى بركة الحبش[٤].

وحدث أن ردم هذا الخندق، فأعيد حفره مرة ثانية، عند وقوع الشقاق بين الأمين (١٩٣-١٩٨هـ/ ٨٠٩-٨١٣م)، والمأمون[٥] (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م).

---

(١) هو عبد الله بن الزبير بن العوام توفي ٧٣هـ/ ٦٩٢م.
ابن شاكر الكتبي، (محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي) ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م.
فوات الوفيات، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، ص٤٤٥-٤٥٠.

(٢) هو الخليفة الأموي مروان بن الحكم حكم فيما بين ٦٤-٦٥هـ/ ٦٨٣-٦٨٥م.
ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، كتاب الشعب، ١٩٧٠م، مج٥، ص١٤٤.

(٣) عن مكان دفن الإمام الشافعي انظر ص ٧٦-٧٧ من الفصل الأول.

(٤) الكندي، الولاة والقضاة، ص٤٢-٤٣.
المقريزي، الخطط، ، ج٢، ص٤٥٨-٤٥٩.
ابن تغري بردي، النجوم، جـ١، ص١٦٥.
علي بهجت، حفريات، ص٣٤.
فريد شافعي، العمارة العربية، ص٥١٨-٥١٩.

(٥) وتفصيل ذلك أنه عندما خلع الأمين بمصر، وتمت بيعة المأمون وولي عباد بن محمد بن حيان مولى كنده من قبل المأمون، كتب الأمين على أهل الحوفين ببيعته، وقتال عباد وأهل مصر فتجمع أهل الحوف لذلك، واستعدوا وبلغ أهل مصر، فأشاروا على عباد بحفر الخندق، فحفروا خندقًا من النيل إلى الجبل، واحتفروا هذا الخندق العتيق، فكان القتال عليه أيامًا إلى أن قتل الأمين وبويع المأمون.
المقريزي، الخطط، ، جـ٢، ص٤٥٨-٤٥٩.

وحفر هذا الخندق للمرة الثالثة على يد جوهر الصقلي في (٣٦١هـ/ ٩٧١م) عندما خشي مسير القرامطة[١] إلى مصر، وفرغ منه في مدة يسيرة[٢].

وإذا كانت المصادر قد اهتمت بذكر أسماء المقبورين بالقرافة، ومواضع قبورهم، إلا أنها لم تشر إلى عمارة المقابر وطريقة بنائها، وإن كان ما ذكره المقدسي من أن المقابر «في غاية الحسن والعمارة ترى البلد غبراء والمقابر بيضاء[٣]»

يوضح مدى الاهتمام بنظافة المقابر وطلائها باللون الأبيض، ولكن يبدو أن ذلك لم يحدث قبل النصف الثاني من ق ٢هـ/ ٨م، حين بُيض قبر إبراهيم[٤] بن

---

(١) وهم ينسبون إلى حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط، وقيل: إنه عرف بذلك لقصر قامته أو لقصر رجليه؛ لأنه كان يقرمط في سيره أي: يقارب بين خطواته.
حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٥٧،
عبد المنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، ص١١٠،
حسن الباشا، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، القاهرة ١٩٧٥م، ص٧٩ـ ٨٥.

(٢) المقريزي، الخطط، ص٤٥٩.

(٣) المقدسي، أحسن، ص٢٠٩.
حورية سلام، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الفسطاط حتى العصر الفاطمي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٧١م، ص١٩٨.
هذا ونلاحظ في هذا المقام ما ذكرته الباحثة من أن المسلمين كانوا يبنون بالقرافة القباب الحسنة ويجعلون عليها الحيطان فتكون كالدور، وقد نسبت الباحثة هذا النص إلى المقدسي ص٢٠٩ ، على الرغم من أن قائله هو ابن بطوطة صاحب الرحلة المسماة باسمه ص٣٤، (طبعة بيروت)؛ وهو يشير – أي ابن بطوطة- إلى القرافة في عهد المماليك البحرية، ولا سيما في عهد الناصر محمد بن قلاوون.

(٤) هو إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، ولي من قبل المهدي على الصلاة والخراج فقدم في محرم (١٦٥هـ/ ٧٨١م)، وابتنى دارًا عظيمة بالموقف من العسكر، وعزله المهدي (١٦٧هـ/ ٧٨٣م) ثم ولي مرة ثانية من قبل الرشيد وتوفي (١٧٦هـ/ ٧٩٢م).
=

صالح، وهو أول قبر بُيض في مقبرة مصر[١].

ومهما يكن من أمر فقد وصف البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) القرافة بقوله «وليس في الدنيا مقبرة أعجب منها، ولا أبهى، ولا أعظم، ولا أطيب منها تربة، تربتها مثل الكافور، وقبر فيها من أصحاب رسول الله ﷺ المعلومين عمرو بن العاص، وعبد الله بن حذافة السهمي، وعبد الله بن الحارث الزبيدي، وأبو بصره الغفاري، وعقبة ابن عامر الجهني، ومسلمة بن مخلد الأنصاري، وقيل: إن أول من قبر فيها رجل من المعافر يقال له: عامر، وقيل: عمرت، وقد قيل: إن أول من قبر فيها عمرو بن العاص، ولا يصح هذا؛ لأن عمرًا جعلها مقبرة – بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– كما سبق القول، وتوفي عمرو بعد أن ولى مصر لمعاوية ثلاث سنين، وتوفي يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين (٦٦٣م)[٢].

هذا ولم يقتصر استخدام القرافة على دفن الموتى وتشييد المقابر فحسب، بل شهدت نشاطًا عمرانيًا لا يكون إلا في بلد كبير، فقد أقيم بها الكثير من المساجد والأربطة، والجواسق، والقصور، والحمامات، وزودت بالقناطر، والأحواض، والآبار.

=

المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٠٧-٣٠٩.

(١) الكندي، الولاة، ص١٣٥.

ابن دقماق، (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦م)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، القاهرة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، جـ٤، ص١٠ .

(٢) البكري، المسالك، جـ٢، ص٦١٦، جغرافية مصر، ص٨٠

أ- المساجد

تشير المصادر التاريخية إلى أنه أقيمت بالقرافة مساجد عديدة، من بينها مسجد بني قرافة[١] من المعافر، ومسجد بني محاجر[٢] من المعافر أيضًا، ومسجد بني سريع[٣] الذي يقال له الجامع العتيق، ومسجد الأقدام[٤].

ومسجد محمود[٥]، ومسجد السَّهمية[٦]، ومسجد الثمار[٧]، ومسجد

---

(١) ابن الزيات، الكواكب، ص١٧٩ وكان يقع في الرحبة التي كانت قبلي سوق القرافة.

(٢) السخاوي، تحفة، ص٢٩٤.

(٣) عبد الله خورشيد، القبائل، ص١٦٧.

ويذكر ابن الزيات أن هذا المسجد بني سنة (٥١هـ/ ٦٧١م)، وأن له منارة مربعة في وسطه، ويقع غربي جوسق عبد الله بن عبد الحكم، وبينهما الطريق. ابن الزيات، الكواكب، ص١٨٣.

(٤) كان هذا المسجد بخط المعافر، وسمي بالأقدام؛ لأنه بني على آثار ثمانين رجلاً من المعافر رفضوا بيعة مروان بن الحكم، فقتلهم على بئر المعافر في هذا الموضع، وقيل: إنه سمي بذلك لأن قبيلتين اختلفتا فيه، كل تدعي أنه من خطتها فقيس ما بينه وبين كل قبيلة بالأقدام، وجعل لأقربهما، وقيل: لأن حجارته كانت كدانًا، وكان يتداوله العباد وأثر فيها موضع أقدامهم والقديم من هذا المسجد محرابه والأروقة المحيطة به، وأما خارجه فزيادة الأخشيد، والزيادة في بحريه لسهنون الملقب بسهم الدولة متولي الستارة. المقريزي، الخطط، جـ٢،ص٤٤٥، مج ٤، ص ٨٥٣-٨٥٤.

أحمد تيمور، الآثار النبوية، القاهرة ١٩٥١م، ص٦٦.

(٥) هذا المسجد قديم، والخطبة فيه متجددة، وينسب لمحمود بن سالم بن مالك الطويل، من أجناد السري بن الحكم أمير مصر بعد سنة (٢٠٠هـ/ ٨١٥م)، وكان يقع بسفح جبل المقطم بالقرافة الصغرى.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٢٩٦-٢٩٧، مج ٤، ص ١٧٩-١٨٠.

(٦) كان هذا المسجد شرقي مسجد الأقدام، وغربي قناطر ابن طولون، مجاورًا لتربة القاضي ابن قابوس، وكان يعرف بمسجد الفقاعة من الكلاع، ويعرف أيضًا بمسجد شاذن الفضلي غلام الوزير جعفر بن الفرات. المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥١، مج ٤، ص ٨٦٩.

عبد الله خورشيد، القبائل، ص٢٠٩، ٢١١.

(٧) كان هذا المسجد يلاصق الزيادة التي في بحرى مسجد الأقدام وفيه قبور بني الثمار.

=

الفتح[١]، ومسجد النَّقعة[٢]، ومسجد الحُجر[٣]، ومسجد القاضي يونس[٤]، ومسجد أبي صادق[٥] ومسجد الأطفيحي[٦]، ومسجد

=

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٠، مج ٤، ص ٨٦٨.

(١) هذا المسجد مشهور بجوار قبر الناطق، بناه شرف الإسلام سيف الإمام يانس الرومي، وزير مصر وسمي بالفتح؛ لأن منه كان انهزام الروم إلى قصر الشمع، حين جاء المدد إلى عمرو ابن العاص وكان الفتح، ويقال: إن محرابه بجانبه الشرقي قديم، وإن تحت حائطه الشرقي قبر عامر الذي كان أول من دفن في القرافة.

المقريزي، الخطط، جـ٢،ص٤٤٧، مج ٤، ص٨٥٨.

(٢) كان هذا المسجد يجاور مسجد الفتح من غربيه بناه الأمير أبو منصور صافي الأفضلي.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٧، مج ٤، ص ٨٥٨.

(٣) كان هذا المسجد يقع بحري مسجد عمار بن يونس مولى المعافر، وقد بنته مولاة علي بن يحيى بن طاهر المعروف بابن أبي الخارجي الموصلي في ربيع الأول (٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م).

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٠، مج ٤، ص ٨٦٨.

(٤) كان هذا المسجد يقع غربي مسجد الحُجر بناه عدي الملك بن عثمان، صاحب دار الضيافة، ثم صار بيد قاضي القضاة بمصر الموفق كمال الدين أبي الفضائل يونس المعروف بجوامرد وكان من الأعيان، ولم يشرب قط من ماء النيل، بل من ماء الآبار ولم يأكل قط خبزًا للسلطان. المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٠، مج ٤، ص ٨٦٨.

(٥) كان هذا المسجد غربي مسجد الأقدام، بناه ابن سعدون أبو الحسن علي بن محمد البغدادي بعد سنة (٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، وجدده أخوه أبو عبد الله الحسين بن محمد (٤٤٣هـ/ ١٠٤١م)، وهو مسجد أبي صادق مرشد المديني المالكي المحدث، وكان قارئ المصحف بالجامع ومصدرًا فيه لا قراء السبع.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٩.

(٦) كان هذا المسجد في البطحاء، بحري مجرى جامع الفيلة إلى الشرق، ويقال له: مسجد وحاظة بن سعد الأطفيحي من أهل أطفيح، وهو شيخ له سمت ووقار، وكتب الحديث (٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) وسلك طريق أهل القناعة والزهد والعزلة، ولزمه الأفضل شاهنشاه،

=

توبة[١]، ومسجد عظيم الدولة[٢] ومسجد الوزيرية[٣]، ومسجد الفراش[٤]، ومسجد ابن كباس[٥]، ومسجد النارنج[٦]، ومسجد

=

وكان لا ينقطع عنه أبدًا وقصده الناس؛ لأجل حلول الأفضل عنده، وصار مسجده موئلاً للحاضر والبادي، وعمل له الأفضل مقعدًا بحذاء المسجد إلى الشرق علو زيادة في المسجد شرقيه، وقاعة صغيرة مرخمة إذا جاء عنده جلس فيها وخلا بنفسه، واجتمع معه وجالسه، وكان هذا المقعد على هيئة المنظرة بغير ستائر كل من قصد الأطفيحي من قصر الكنعى يراه.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥١، مج ٤، ص ٨٧٠-٨٧١.

ويمكن القول بأن هذا المسجد كان بجوار قناطر الأطفيحي التي بناها له الأفضل شاهنشاه أيضًا، والتي اكتشفت بالقرب من القباب السبع وخضرة الشريفة في المنطقة التي تعرف حاليًا بعزبة خير الله الجديدة على مسافة غير بعيدة من خيالة الشرطة بعين الصيرة.

(١) هو ابن ميسرة الكتامي مغنى المستنصر، كان في شرقي الأقهوب. المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٨، مج ٤، ص ٨٦٤.

(٢) كان هذا المسجد معلقًا، بخط سوق القرافة الكبرى، وكان عظيم الدولة هذا صقلبيًا، صاحب الستر وحامل المظلة، وكان بجوار هذا المسجد مسجد التمساح، ومسجد السدرة، ومسجد جهة مراد. المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٩، مج ٤، ص ٨٦٦.

(٣) كان هذا المسجد بالقرافة الكبرى وله منارة بجوار باب رباط الحجازية، وكانت الحجازية واعظة زمانها وكانت من الخيرات، لها القبول التام وتدعى أم الخير.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٠، مج ٤، ص ٨٦٨.

(٤) كان هذا المسجد بالقرافة الكبرى بناه أحمد فراش الأفضل بن أمير الجيوش، وكان بجواره مسجد بني يزيد بن حسام، ومسجد الأجابة القديم ودار البقر وتربة العطار وقناطر الأطفيحي كل ذلك بالقرب من جامع القرافة.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٠، مج ٤، ص ٨٦٧.

(٥) كان هذا المسجد مجاورًا للقناطر الأطفيحية، على يسار من أمّ طريق الجامع، بناه القاضي ابن كباس. المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥١، مج ٤، ص ٨٦٩.

ويمكن القول أن مسجد الفراش ومسجد ابن كباس كانا يقعان في المنطقة المعروفة حاليًا بعزبة خير الله الجديدة، على مسافة غير بعيدة من خيالة الشرطة بعين الصيرة، حيث لا تزال قناطر الأطفيحي باقية آثارها حتى اليوم.

(٦) كان هذا المسجد فيما بين الرصد والقرافة الكبرى (وقد ظل عامرًا إلى زمن المقريزي)

=

الأندلس[١]، ومسجد الرحمة[٢]، ومسجد مكنون[٣]، ومسجد دري[٤]، ومسجد زكناده[٥]، ومسجد ست غزال[٦]، ومسجد شقيق الملك[٧] ومسجد جهة

=

بجانب قناطر ابن طولون، وقد بنته الجهة الآمرية المعروفة بجهة الدار الجديدة في عام (٥٢٢هـ/ ١١٢٨م)، وأخرجت له اثني عشر ألف دينار، وسمي مسجد النارنج لأن نارنجه لا ينقطع أبدًا.

المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٤٦، مج ٤، ص ٨٥٥.

(١) كان هذا المسجد بجانب مسجد الفتح، وهو مصلى المعافر على الجنائز، ويقال: إنه بني عند فتح مصر، وقيل: في خلافة معاوية، ثم بنته جهة مكنون واسمها علم الآمرية التي يقال لها: ست القصور في عام (٥٢٦هـ/ ١١٣١م)، على يد الشيخ أبي تراب.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٦، مج ٤، ص ٨٥٦.

(٢) كان هذا المسجد في صدر القرافة الكبرى، بالقرب من تربة ركن الإسلام محمود ابن أخت الصالح طلائع، وقد بناه أبي تراب الصواف، وكيل الجهة الآمرية التي بنت مسجد الأندلس ورباطه ومشهد رقية. المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٧-٤٤٨، مج ٤، ص ٨٥٩-٨٦٠.

(٣) هو بجانب مسجد الرحمة، بناه الأستاذ مكنون القاضي، وقيل له: ذلك لسكونه وهدوءه، وكان فيه خير وبر كبير، وقد كان يخدم الست علم الآمرية.

ابن عبد الظاهر، الروضة، ص٩٤.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٦ ، ٤٤٨، مج ٤، ص ٨٥٦، ٨٦٣.

(٤) كان هذا المسجد في رحبة الأقهوب، بناه شهاب الدولة دري غلام الظافر أخي الأفضل ابن أمير الجيوش (٥٣٣هـ/ ١١٣٨م)، وكان أرمنيًا وأسلم، وصار من المتشددين في مذهب الإمامية. المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٨، مج ٤، ص ٨٦٤.

(٥) كان هذا المسجد غربي مسجد عمار بن يونس، بناه زكناده المخنث بعدما تاب عام (٥٣٥هـ/ ١١٤٠م). المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥١، مج ٤، ص ٨٧٠.

(٦) كان هذا المسجد بجوار تربة النعمان، بنته ست غزال (٥٣٦هـ/ ١١٤١م)، وكانت غزال هذه صاحبة دواة الخليفة، وكان رسم خدمتها الأستاذ مأمون الدولة الطويل.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٩، مج ٤، ص ٨٦٥.

(٧) كان هذا المسجد بجوار مسجد الرصد، بناه شقيق الملك خسروان صاحب بيت المال، أحد

=

ريحان[١]، ومسجد جهة بيان[٢]، ومسجد ابن العكر[٣]، ومسجد رياض[٤]، ومسجد أم عباس[٥] جهة العادل بن السلار، ومسجد الصالح طلائع[٦]، ومسجد ولي

=

خدام القصر في أيام الخليفة الحافظ لدين الله في عام (٥٤١هـ/ ١١٤٦م)، وعمل فيه للحافظ ضيافة عظيمة حضر فيها بنفسه ومعه الأمراء والأستاذون وكافة الرؤساء، وكان فيه كرم وسمو همة. المقريزي، الخطط، جـ٢،، ص٤٤٥، مج ٤، ص ٨٥٤.

(١) كان هذا المسجد أمام مسجد أبي تراب، وجدده أستاذ الجهة الحافظية، واسمه ريحان في عام (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) المقريزي، الخطط، مج ٤، ص ٨٦٣.

(٢) كان هذا المسجد في بطحاء مسجد الأقدام، بجوار ترب المادرانيين بنته الجهة الحافظية، المعروفة بجهة بيان الحسامي، على يد أبي الفضل الصعيدي المعروف بابن موفق.
المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٨، مج ٤، ص ٨٦٣.

(٣) كان هذا المسجد، يقع غربي مسجد أبي صادق بحضرة مسجد الأقدام، وبحذاء مسجد النارنج بناه القاضي العادل بن العكر.
المقريزي، الخطط،جـ٢، ص٤٥١، مج ٤، ص ٨٦٩.

(٤) أنشأت هذا المسجد وقافة الحافظ لدين الله، كانت تقف بين يديه بالقصر، وكان بجوار قناطر ابن طولون، وكان فيه حوش به عدة بيوت للنساء المنقطعات.
المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٩، مج ٤، ص ٨٦٥.

(٥) كان هذا المسجد، بجوار مصلى خولان بالمعافر غربي المقابر، بنته بلاّرة زوجة العادل بن السلار سلطان مصر في خلافة الظافر (٥٤٧هـ/ ١١٥٢م)، وكانت بلاّرة مغربية، وهي أم الوزير عباس الصنهاجي البادیسي. المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٧، مج ٤، ص ٨٥٨-٨٥٩.

(٦) كان هذا المسجد، بخط جامع القرافة المعروف بجامع الأولياء، وكان في أعلاه مناظر، وعمارته متقنة الزي، وأدركه المقريزي عامرًا إلى ما بعد عام (٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م).
المقريزي، الخطط، جـ٢ ص٤٤٧، مج٤، ص ٨٥٩، السخاوي، تحفة ، ص١٨٤، ويكاد يتفق بقية المؤرخين في أن الصالح طلائع بني مسجدًا بجوار تربة دفن بها.
ابن خلكان، وفيات، مج٢، ص٥٢٨.
ابن تغري بردي، النجوم، جـ٥، ص ٣٤٥.

عهد[١] أمير المؤمنين، ومسجد تاج الملوك[٢].

جامع القرافة

يكاد يتفق معظم المؤرخين في أن جامع القرافة، هو أهم ما أقيم بها، ومن ثم آثرت أن أتناول مراحل بنائه المختلفة، والإضافات التي حدثت فيه. وبادئ ذي بدء

=

ابن العماد، شذرات، جـ٤، ص١٧٧.

ويذكر محمد رمزي أن هذا المسجد، كان يقع في الفضاء الكائن بين جبانة سيدي عقبة ومصر القديمة، بالقرب من حوش خضراء الشريفة. تعليقات محمد رمزي في النجوم الزاهرة جـ٥، ص٣٤٥، حاشية ٣.

والواقع أن هذا المسجد، كان بجوار جامع القرافة الكبرى، كما ذكر المقريزي والسخاوي، وهذا يعني أنه كان يقع بجوار جامع القرافة الذي اكتشفته حفائر كلية الآثار، بجوار خيالة الشرطة بعين الصيرة التي تمت بإشراف أ.د/ سعاد ماهر.

(١) هو الأمير أبي هاشم العباس بن شعيب، أحد الأقارب في الأيام الحاكمية، كان إلى جانب مسجد الصالح، وبجانبه تربته، وكان المسجد من حجر، وبابه محمول على أربع حنايا، وتحت الحنايا باب المسجد، وفي شرقيه أيضًا أربع حنايا.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٧، مج ٤، ص ٨٥٩.

وهذا يعني: أن هذا المسجد كان يقع بجوار جامع القرافة بجوار خيالة الشرطة بعين الصيرة.

(٢) كان هذا المسجد قدام دار النعمان وتربته بالقرافة الكبرى، بناه تاج الملوك بدران بن أبي الهيجاء وهو أخو سيف الدين حسين بن أبي الهيجاء صهر بني رزيك، وكان بجواره تربة دفن فيها الأمير تاج الملوك سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٠، مج ٤، ص ٨٦٧-٨٦٨.

السخاوي، تحفة، ص١٧٨.

وبما أن تربة النعمان كانت قبلي جامع القرافة، كما ذكر علي مبارك (جـ٤، ص١٣٠) فإننا نستنتج أن مسجد تاج الملوك، كان يقع أيضًا بالقرب من جامع القرافة حاليًا بجوار خيالة الشرطة بعين الصيرة.

نقول: إن موضع هذا الجامع، كان يعرف عند فتح مصر بخطة المعافر، وهو مسجد بني عبد الله بن مانع بن موزع[١]، ثم عرف في نهاية القرن الأول بمسجد القبة؛ لأن أسامة بن زيد متولِّي خراج مصر في عهد سليمان بن عبد الملك (٩٧-٩٩هـ/ ٧١٥-٧١٧م) أقام فيه سنة (٩٧هـ/ ٧١٥م) قبة قائمة على عمد لإيداع أموال اليتامى وبعد ذلك قام ببنائه أحمد بن طولون في عام (٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)[٢].

وفي العصر الفاطمي أعادت بناءه السيدة تغريد: زوجة المعز، وأم العزيز بالله في سنة (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م) على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسي المحتسب[٣]، وهو

---

(١) ابن الزيات، الكواكب، ص١٧٤.
المقريزي، الخطط، جـ٢، ص١٨، مج ٤، ص ٢٨٨.
البكري، قطف الأزهار، مخطوط، ورقة ١٧٥.

(٢) ابن الزيات، الكواكب، ص١٧٤.
علي مبارك، الخطط التوفيقية، جـ٤ ص١٣٠.

(٣) ابن ظافر (جمال الدين علي بن ظافر) ت ٦٢٣هـ/ ١٢٢٥م.
أخبار الدول المنقطعة (دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع مقدمة وتعقيب أندريه فريه، مطبوعات المعهد الفرنسي، القاهرة ١٩٧٢م، ص٣٧.
ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١١٣.
حسن عبد الوهاب، أثر المرأة في العمارة الإسلامية (مجلة الهندسة، السنة ١٥، العدد (٤) ١٩٣٥م، ص١٣٢.
سعاد ماهر، حفائر كلية الآثار بظاهر مدينة الفسطاط، ص١٠١.
Ragib (Y) sur Deux monuments Funeraires Du cimetiere Dal Qarafa-Al-kubra au Caire (Annales Islamol logigues-Tome,II.
IFAO-le Caire, 1974) pp. S9-70.
ويذكر حسن الباشا أنه كان يسند إلى المحتسب في هذا العصر، الإشراف على بعض أعمال البناء والتعمير، كما يتضح من خلال هذا الجامع. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، جـ٣، القاهرة ١٩٦٦م، ص١٠٣٥.

على نحو بناء الجامع الأزهر بالقاهرة، وكان لهذا الجامع بستان لطيف في غربيِّه وصهريج، وبابه الذي يدخل منه ذو المصاطب، الكبير الأوسط تحت المنار العالي الذي عليه مصفح بالحديد إلى حضرة المحراب، والمقصورة من عدة أبواب وعِدتها أربعة عشر بابًا مربعة مطوية الأبواب، قدام كل باب قنطرة قوس على عمودي رخام ثلاثة صفوف[١].

وقد حاول البعض إعتمادًا على هذا الوصف المقتضب والمبتور كما نرجّح أن يعيد تصور الجامع (شكل ١٣) ولكنه وقع في العديد من الأخطاء[٢]، وهو ما سنعود إلى مناقشته تفصيلا في القسم الثانى من هذه الموسوعة بمشيئة الله تعالى. ومهما يكن من أمر فقد كان هذا المسجد منقوشًا بشتى أنواع الزخارف والألوان من صنعة البصريين وبنى المعلم المزوقين شيوخ الكتامى والناذوك[٣].

ويذكر المقريزي أن الجمعة أقيمت في العصر الفاطمي في جامع عمرو وابن

---

(١) المقريزي، الخطط حـ ٢، ص٣١٨، مج ٤، ص ٢٨٨.
علي مبارك، الخطط التوفيقية، ص ١٣٠.

(2) Bloom, J.M., the Mosque of the Qarafa in Cairo, Muqarnas, Vol 4, 1987, PP. 7-20, Fig I., Ragib, Y., La Mosquée d'al- Qarafa et J.M. Bloom, Arabica, Vol XLi, 1994, PP. 419-421,
تعليقات أيمن فؤاد سيد في الخطط المقريزية، مج١، ص ٢٨٩ حاشية ١.

(٣) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٣١٨، مج ٤، ص ٢٨٨-٢٨٩.
علي مبارك ، الخطط التوفيقية،جـ٤، ص ١٣٠..
وعن هذه التصاوير، وأسلوب مدرسة بني المعلم الفنية وتلاميذهم انظر:
حسن الباشا، فنون التصوير الإسلامي في مصر، (القاهرة ١٩٧٣م)، ص٥٨-٥٩، بنو المعلم، (بحث في كتاب القاهرة تاريخها، فنونها، آثارها، ص١٢١-١٢٢، محمود إبراهيم حسين، أعلام المصورين المسلمين، القاهرة ١٩٨٢م، ص ٦٧-٦٩؛ الفنون الإسلامية في العصر الفاطمي، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٦٨-٦٩.

طولون والجامع الأزهر وجامع القرافة[١]، مما يدل على أن جامع القرافة كان ثاني مسجد أقيم للجمعة في العصر الفاطمي، بعد الجامع الأزهر، وهذا يدل على ازدهار شأن القرافة منذ بداية العصر الفاطمي، ويدل أيضًا على كثرة سكانها، مما دفع السيدة تغريد إلى إعادة بناء المسجد وتوسيعه.

وفي عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، أمر الوزير المأمون البطائحي في سنة (٥١٦هـ/ ١١٢٢م)، وكيله أبا البركات محمد بن عثمان برمِّ شعث هذا الجامع، وأن يعمر بجانبه طاحونًا للسبيل، ويبتاع لها الدواب، ويتخير من الصالحين الساكنين بالقرافة من يجعله أمينًا عليها، ويطلق له ما يكفيه من علف الدواب، وجميع المؤن ويشترط عليه أن يواسي بين الضعفاء، ويحمل عنهم كلفة طحن أقواتهم ويؤدي الأمانة فيها[٢].

ولم يزل هذا الجامع على عمارته إلى أن احترق في السنة التي احترق فيها جامع عمرو بن العاص (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م)، وتولى إحراقه ابن سماقة بإشارة الأستاذ مؤتمن الخلافة جوهر، ولما سُئل عن ذلك فقال: لئلا يخطب فيه لبني العباس[٣].

أما في العصر المملوكي، فقد عرف جامع القرافة بجامع الأولياء؛ لأنه موضع شريف يجاب فيه الدعاء، ومن ثم كان المصريون يفزعون إليه في أيام الشدائد للتضرع إلى الله تعالى، وكانوا يتبركون بهذا المكان أيضًا، ولهذا شُهِرَ بجامع الأولياء[٤].

---

(١) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٢٤٤-٢٤٥، مج ٤، ص٣.
السخاوي، تحفة الأحباب، ص١٨٥.

(٢) المقريزي، الخطط، ص٣١٩، مج ٤، ص ٢٩٣.

(٣) المقريزي، الخطط، ص٣١٩-٣٢٠، مج ٤، ص ٢٩٣.

(٤) ابن الزيات، الكواكب، ص١٧٤-١٧٥.

وأدرك هذا الجامع المقريزي لمَّا كانت القرافة الكبرى عامرة بسكنى السودان التكارة[١]، وعندما حدثت الحوادث والمحن في سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) "قل الساكن بالقرافة، وصار هذا الجامع طول الأيام مغلقًا، وربما أقيمت فيه الجمع"[٢].

أما عن موضع هذا الجامع، فيذكر علي مبارك أنه في الشمال الغربي لساقية أم السلطان، قبلي عين الصيرة بمسيرة ثلث ساعة، ولم يبقَ منه الآن إلا بعض الجدران وصار هو وما حوله مقابر على صورة حوش كبير...وشهرته بحوش الأولياء وحوش أبي علي، وبه مساكن متخربة وبجواره من الجهة الشرقية بئر مطموسة وبجواره أيضًا من الجهة البحرية محل يعرف بالشريفة مبني بالحجر المتين وبه محراب كبير تكتنفه أربعة محاريب صغيرة وليس به سقف، وفي غربيِّه بنحو ألف متر محل يعرف بإصطبل عنتر جعل اليوم جبخانة[٣].

أما محمد رمزي، فقد ذكر أن هذا الجامع يعرف باسم حوش الأولياء وأنه قد زال ولم يبقَ منه إلا آثار بعض جدرانه، وموقعه في الجنوب الشرقي بمسجد قديم يعرف اليوم بحوش خضراء الشريفة، آثاره قائمة في الفضاء الواقع بين جبانة سيدي عقبة ومصر القديمة[٤].

---

(١) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٣٢٠، مج ٤، ص ٢٩٤. وعن التكارة انظر ص٢٦٤ حاشية ١.

(٢) المقريزي، الخطط، مج٤، ص ٢٩٤؛ البكري، قطف الأزهار، مخطوط، ورقة ١٧٥.

(٣) علي مبارك، الخطط التوفيقية، ص١٣٠.

أما عن الجبخانة: فهي تعني في التركية المكان الذي يودع فيه الأسلحة والذخائر، ولكن الجبرتي يستعملها بمعنى الذخيرة نفسها لا بمعنى المستودع.

أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، (القاهرة ١٩٧٩م)، ص٦٥.

(٤) تعليقات محمد رمزي في النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١١٣ حاشية ٣.

وعثر متحف الفن الإسلامي[١] في حفائر القرافة الكبرى على اللوحة التأسيسية للمسجد، وتحتوي على عشرة سطور مكتوبة بالخط الكوفي المزهر محفورة حفرًا بارزًا، وقد ورد باللوحة اسم منشئة المسجد، وهي والدة أبي المنصور الإمام العزيز بالله[٢].

وقد قامت كلية الآثار في عام ١٩٧٢م بإجراء حفائر في موضع هذا المسجد وأسفرت هذه الحفائر عن العثور على مجموعة من العملات والفنون التطبيقية التي ترجع إلى العصر الأموي والطولوني والفاطمي، إلى جانب الكشف عن جدران المسجد و غير ذلك[٣].

هذا ولا تزال بقايا هذا المسجد قائمة حاليًا بجوار خيالة الشرطة بعين الصيرة بالقرب من عزبة خير الله الجديدة.

---

(١) كان يُعرف في ذلك الوقت بدار الآثار العربية.

(٢) سعاد ماهر، حفائر، ص١٠٢.

Ragib: op. cit. p.68.

(٣) سعاد ماهر، حفائر،ص ١٠٣-١٠٨.

أجريت هذه الحفائر في ثلاثة مواسم: موسم الحفر الأول ١٩٧٢م، وموسم الحفر الثاني ١٩٧٣، وموسم الحفر الثالث ١٩٧٤م.

obeikandl.com

(ب) الأربطة

أنشئت الأربطة[١]، وقامت بدورها كمنشآت للرعاية الاجتماعية، وضمنت لأفرادها من النزيلات الإعاشة الكاملة، فكفتهن مذلّة السؤال أو الانحراف مع العمل على تثقيفهن في الدين، والاعتكاف على الطاعات والعبادات، وقد أقيم بالقرافة عددًا من الأربطة الخاصة بالنساء معظمها من العصر الفاطمي، فيذكر المؤرخون أن بالقرافة الكبرى عدة دور يقال للدار منها رباط على هيئة ما كانت عليه بيوت أزواج النبي ﷺ يكون فيها العجائز والأرامل العابدات، وكانت لها

---

(١) الأربطة والربط جمع رباط، وهو دار يسكنها أهل طريق الله، وقيل: الرباط من الخيل الخمس فما فوقها، والرباط والمرابطة: ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطًا، وربما سميت الخيل نفسها رباطًا، وقيل: إن أصل الرباط ما تربط فيه الخيول، ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط، فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه، والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد، والرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم ولكل قوم دار والرباط دارهم.المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٢٧.

وتطورت الأربطة بعد ذلك؛ فلم تعد حصونًا فحسب، بل غلب الغرض الديني منها على الغرض العسكري، بل محاه في بعض الأحيان، فأصبحت أشبه بمؤسسات إصلاحية تهذيبية تدرس فيها علوم الدين، كان يقيم فيها النساء اللاتي أصبحن بلا عائل ولا معين واضطررن لسكنى الرباط؛ ليكون لهن بمثابة مأوى يجدن فيه ما يعينهن على حياتهن التي لم تكن لتتيسر لهن خارجه.

دولت عبد الله، معاهد تزكية النفوس في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي، القاهرة١٩٨٠، ص٤٩-٥٠، ولمزيد من التفاصيل عن نشأة الأربطة بمرحلتيها، ومراحل تطورها انظر: محمد توفيق بلبع، نشأة الرباط وتطوره وأهمية المرابطة في تاريخ المسلمين، دراسات أثرية وتاريخية، العدد ٢، جمعية الآثار بالإسكندرية، ١٩٦٨، ص ٢٧-٦٨، محمد سيف النصر أبو الفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك، دكتوراه، جامعة أسيوط، ١٩٨٠، ص٣٥٦-٣٧٣.

الجرايات والفتوحات، وكان لها المقامات المشهورة من مجالس الوعظ[١].

وقد يفيدنا هذا النصُّ في معرفة تخطيط هذه الأربطة بصورة تقريبية؛ حيث إنه لم يتبقَ منها شيء، ومن ثَمَّ يمكن القول: إنها ربما كانت تتكون من مجموعة من الحجرات المتجاورة في طابق واحد تلتصق بمسجد أو مصلى في ضلع واحد أو ضلعين، كما كانت حُجُرات نساء النبي ﷺ تجاور مسجده[٢]، أو ربما كانت عبارة عن مساحة مستطيلة أو مربعة تحتوي على عدد من الحُجُرات تشغل جميع جوانبها، ويتوسطها حوش ويجاوره مسجد.

وقد أورد المؤرخون عددًا من هذه الأربطة وهي:

رباط بنت الخواص[٣]، ورباط الأشراف[٤]، ورباط الأندلس[٥]، ورباط ابن

---

(١) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٤، مج ٤، ص ٨٧٧، السخاوي، تحفة، ص١٧٩.
راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عصر الفاطميين، القاهرة ١٩٤٨، ص١٥٧.

(٢) محمد سيف النصر أبو الفتوح، منشآت، ص٣٦٤.

(٣) بنى هذا الرباط الرجل الصالح المعروف بالخوَّاص، وكان بيد ابنته من بعده المرأة الصالحة، لهذا كان يعرف برباط بنت الخواص، وكانت من الفضلاء، وزاهدة تلبس المرقعة الصوف وخصص هذا الرباط للأرامل والعجائز، ومجالس الوعظ، والمقامات المشهودات، ومواقف الزهد على مذهب أهل الطريقة وسالكي منهاج الحقيقة.
السخاوي، تحفة، ص١٧٩-١٨٠.

(٤) كان هذا الرباط برحبة جامع القرافة، يعرف بالقراء، وببني عبد الله، وبمسجد القبة، وهو شرقي بستان ابن نصر بناه أبو بكر محمد بن علي الماذرائي، ووقفه على نساء الأشراف.
المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٤، مج ٤، ص ٨٧٧.

(٥) كان هذا الرباط بجانب مسجد الأندلس من غربيِّه بنته الجهة الآمرية المعروفة بجهة مكنون الآمرية، وذلك في عام (٥٢٦هـ/ ١١٢٢م) وجعلته برسم العجائز الأرامل، والمنقطعات وخصصت لهن ما يكفيهن، المقريزي، الخطط، مج ٤، ص ٨٥٦، ٨٧٧.

العكاري [١] ورباط الحجازية [٢]، ورباط رياض [٣].

(١) كان هذا الرباط بحضرة مسجد بني سريع، المعروف بالجامع العتيق.
المقريزي، الخطط، ص٤٥٤، مج ٤، ص ٨٧٨.

(٢) كان باب هذا الرباط يجاور منارة مسجد الوزيرية الذي سبق ذكره في المساجد، وقد أنشأته فوز جارية الوزير الفاطمي علي بن أحمد الجرجرائي، وأوقفته على السيدة أم الخير الحجازية الواعظة التي ذاعت شهرتها، وتصدرت مجالس الوعظ بجامع عمرو حوالي عام ٤١٥ هـ/ ١٠٢٤م)، وكانت تعظ المقيمات بهذا الرباط، وترشدهن إلى الخير والصلاح.
المقريزي، الخطط، ص٤٥٠-٤٥٤، محمد سيف النصر، منشآت، ص ٣٦٥.

(٣) كان هذا الرباط، بجوار مسجد الحاجة رياض، وقافة الخليفة الحافظ لدين الله التي أنشأته، وكان يتكون من حوش به عدة بيوت للنساء المنقطعات.
المقريزي، الخطط، ص ٤٤٩، ٤٥٤، مج ٤، ص ٨٦٥، ٨٧٨.

obeikandl.com

(جـ) الجواسق والقصور

من المباني التي أقيمت بالقرافة الجواسق[١]، وكانت تسمى بالقصور، وكان لأمراء المعافر الكبار ومن بعدهم ومن يجري مجراهم لكل منهم "جوسق بالقرافة يتنزه فيه، ويعبد الله تعالى هناك، وكان من هذه الجواسق ما تحته حوض ماء لشرب الدواب وفسقية وبساتين ومناظر[٢]، إلا أن أكثرها بغير بساتين، ولا بشر، بل هي مناظر مرتفعة ويقال لها كلها قصور[٣].

ومن هذه الجواسق أو القصور قصر الكنعي وقصر بني كعب، وبني عقبة، وأبي قبيل، والعزيز وقصر البغدادي وقصر يشب وقصر وابن كرامة[٤].

---

(١) يذكر المقريزي عن ابن سيده أن الجوسق: الحصن، وقيل: هو شبيه بالحصن، معرَّب وبالرجوع إلى كتب الألفاظ الفارسية المعربة تبين لنا: أن الجوسق لفظ فارسي معرب يعني القصر أو هو تصغير قصر كوشك أي: صغير، وقيل: وأصله القصر في البستان.
المقريزي، الخطط، ص٤٥٢، مج ٤، ص ٨٧٤.
الحموي، المشترك، ص١١٢.
الجواليقي، أبي منصور الجواليقي (ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)،
المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م، ص٩٦.
السيد أدي شير، كتاب الألفاظ الفارسية المعرَّبة، بيروت ١٩٠٨م، ص٤٨.
طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، القاهرة ١٩٦٤-١٩٦٥، ص٢٢.

(٢) المناظر جمع منظرة وهي: الموضع الذي ينظر منه، وقد يغلب هذا على المواضع العالية التي يشرف منها على الطريق.
الحموي، معجم البلدان، مج٨، ص١٦٥.

(٣) المقريزي الخطط، جـ٢، ص٤٥٣، راشد البراوي، حالة مصر، ص١٥٧.

(٤) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٢، مج ٤، ص ٨٧٤

وذكر ابن الزيات عددًا آخر من هذه الجواسق، منها جوسق الأدفوي، وجوسق خولان، وجوسق الشريف الخطيب، وجوسق أبي القاسم الوزير المغربي، وجوسق ابن أصبغ، وجوسق عبد الأعلى السكري[١].

ومن أهم هذه الجواسق وأشهرها جوسق عبد الله بن عبد الحكم[٢] وجوسق الماذرائي[٣]، وجوسق بني غالب[٤]، وجوسق ابن ميسر[٥]، وجوسق حب الورقة[٦]،

---

(١) ابن الزيات، الكواكب، ص ١٥٨، ١٦١، ١٦٧، ١٦٨، ٢٤٣، ٣٠٧.

(٢) توفي عبد الله بن عبد الحكم في عام (٢١٤هـ/ ٨٢٩م)، وهو فقيه مؤرخ، وابنه هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم صاحب فتوح مصر (ت ٢٥٧ هـ/ ٨٧٠م).
ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٢، ص٣٤.
وكان هذا الجوسق كبيرًا له حوش، وكان في وسط القرافة بحضرة مسجد بني سريع الذي يقال له: المسجد العتيق، وجدد هذا الجوسق ابن اللهيب المغربي.
ابن الزيات، الكواكب، ص١٨٣،
المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٢، مج ٤، ص ٨٧٤.

(٣) كان هذا الجوسق بالقرب من مصلى خولان في بحريِّه، على جانبه الممر من مقطع الحجارة، بناه أبو بكر محمد بن علي الماذرائي وسط قبورهم، وكان جوسقًا كبيرًا جدًّا على هيئة الكعبة، المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٣، مج ٤، ص ٨٧٤.
سيدة كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، ط٢، ١٩٧٠، ص٣٠٥.

(٤) ويعرف ببني بابشاذ، وكان بالمعافر، وقد بني عام (٤٥٣هـ/ ١٠٦١م) وإلى جانبه قبر الشيخ أبي الحسن طاهر بن بابشاد، المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٣، مج٤، ص ٨٧٤.

(٥) كان بجوار جوسق بني غالب بناه أبو عبد الله بن محمد ابن القاضي أبي الفرج هبة الله خطيب جامع مصر ويوم الغدير في عام (٥١٥هـ/ ١١٢١م).
المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٣.، مج ٤، ص ٨٧٤.

(٦) كان هذا الجوسق بحضرة تربة ابن طباطبا، وقد أدركه المقريزي عامرًا، وقد خرب فيما خربه السفهاء من ترب القرافة وجواسقها، زعمًا منهم أن فيها خبايا، المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٣، مج ٤، ص ٨٧٦.

وجوسق ابن مقسر[١]، وجوسق الشيخ[٢] أبي محمد، وجوسق البغدادي[٣] الجرجرائي، وجوسق الشريف أبي إسماعيل إبراهيم بن نسيب[٤] الدولة الكلثمي الموسوي نقيب مصر[٥].

أما قصر القرافة، فقد كان من أجل قصورها وأعلاها شأنًا، وقد بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله في عام ٣٦٦ هـ/ ٩٧٦م)، هو والحمام الذي كان في غربيِّه،

---

(١) كان جوسقًا طويلاً ذا تربة بجانبه.
المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٣، مج ٤، ص ٨٧٥.

(٢) وهو أبي محمد عامل ديوان الأشراف الطالبيين، وكان بجانبه جوسق ابن عبد المحسن، والاثنان بخط الأكحول.
المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٣، مج ٤، ص ٨٧٥.

(٣) كان قبره إلى جانبه، وقد خرب في عام (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م).
المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٣، مج ٤، ص ٨٧٥.
ومما هو جدير بالذكر أن الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله ركب في عام (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) لينظر جوسق البغدادي أبي الحسن علي بن محمد بن سعدون بالقرافة، فإنه كان من أحسن جواسق القرافة وأفخرها بناءً.
المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، جـ٣، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة ١٩٧٣م، ص١١٨.

(٤) النسيب من ألقاب الشرفاء أبناء فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- من علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- والمراد العريق النسب.
القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٦، ص٢٣.

(٥) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٣، مج ٤، ص ٨٧٥.
ونقيب مصر، ربما يقصد به نقيب الفسطاط التي عرفت بمصر، ومن المعروف أن النقيب استُخدم أيضًا كمرتبة في الدعوة الفاطمية، فكان لداعي الدعاة الفاطمي اثنا عشر نقيبًا، وربما كان نقيب مصر واحد من بين هؤلاء،
حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف جـ٣، ص١٢٩٤-١٢٩٥.

كذلك أمرت بإنشاء البئر والبستان المعروف بالتاج المعروف بحصن أبي المعلوم، وكان هذا القصر من أجمل المتنزهات متقن البناء له منظرة جميلة كبيرة محمولة على قبوٍ ممدود تمر المارَّة من تحته، ويستظل المسافرون أيام القيظ هناك، وكان تحته حوض لسقي الدواب يوم النزول فيه[١].

وفي عام (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) أمر الخليفة الآمر بأحكام الله بتجديد قصر القرافة وعمل تحته مصطبة للصوفية، وكان يجلس في الطاق بأعلى القصر، ويرقص أهل الطريق من الصوفية والمجامر بالألوية موضوعة بين أيديهم والشموع الكثيرة تزهر، وقد بسط تحتهم حصر فوقها بسط، ومدت لهم الأسمطة التي عليها كل نوع لذيذ، ولون شهي من الأطعمة، والحلوى أصنافًا مصنفة[٢].

ويفهم من النص السابق أن الفاطميين كانوا يرعون حركة التصوف، فإن بناء مصاطب للصوفية تحت قصر الخليفة الفاطمي بالقرافة، وذهاب الخليفة لرؤيتهم يدل على مقدار ما كان يتمتع به الصوفية من رعاية في عصر الفاطميين[٣].

---

(١) المقريزي، الخطط، جـ١ ، ص٤٨٦، جـ٢، ص٤٥٣، مج ٤، ص ٨٧٥.
حسن عبد الوهاب، أثر المرأة في العمارة الإسلامية، (مجلة الهندسة، السنة ١٥ - العدد ٤، أبريل ١٩٣٥م) ص١٣٤-١٣٥.
Ragib (Y): Sur deux Monuments funeraires du cimetiere dal- Qorafa al-Kubrs au Caire (Annales Islamologiques tome II- IfAo- Le Caire). 1974. p. 70.

(٢) المقريزي، الخطط، جـ١، ص٤٨٦، اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص١٣١.
عبد المنعم سلطان، المجتمع المصري في العصر الفاطمي، القاهرة ١٩٨٥م ص٢٠٣.

(٣) محمد كامل حسين، بين التشيع وأدب الصوفية في مصر في عصر الأيوبيين والمماليك، (مجلة كلية الآداب، المجلد ١٦، الجزء الثاني، ١٩٥٤، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٥م ص٥١.
ويضيف الدكتور محمد كامل حسين فيقول: إن ما ذكره المقريزي يدل على أن الصوفية اتخذوا لهم مكانًا في القرافة، وبنو هناك مصاطب خاصة بهم أشبه بما عرف في عصر =

(د) الحمامات

يستفاد مما جاء في المصادر التاريخية أنه كان بالفسطاط ألف ومائة وسبعون حمامًا كان من بينها حمام جناده في القرافة، الذي ما كان يتوصل إليه إلا بعد عناء من الزحام، وأن قبالة الحمام في كل يوم جمعة خمسمائة درهم التي تساوي اثنين وأربعين دينارًا إلا ثلثًا؛ لأن الدينار كان صرفه يوم ذاك اثنيْ عشر درهمًا[1].

=

الأيوبيين بالخانقاه، فإن صح ما ذكره المقريزي، فنستطيع أن نقول: إن الخانقاوات أو التكايا أو مصاطب الصوفية وجدت في مصر في عصر الفاطميين، وذلك خلافًا لما ذهب إليه أحد الباحثين المحدثين من أن أماكن الصوفية إنما وجدت بمصر في عهد الأيوبيين.
محمد كامل حسين، بين التشيع، ص٥١.
والواقع أنه يوجد فرق واضح بين مصطبة الصوفية التي أشار إليها المقريزي، وبين الخانقاه التي عرفت لأول مرة في مصر على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي، ويتضح هذا الفرق في أن للخانقاه تكوينها المعماري الخاص بها، وما صاحبه من تطور في العصر المملوكي، ومما لا شك فيه أن التكوين المعماري للخانقاه وما تحتوي عليه من خلاوى أو طباقات يختلف كلية عن مصاطب الصوفية، ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف بين الاثنين؛ إلا أن ما أشار إليه المقريزي يدل دلالة قاطعة على أن حركة التصوف كانت قد ازدهرت خلال العصر الفاطمي الثاني، وأنها نالت من تشجيع الخلفاء ورعايتهم الكثير كما يدل عليه هذا النص.

(١) ابن تغري بردي، النجوم، جـ١، ص٤٣-٤٤.
المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٣٠.
أما عن موضع هذا الحمام، فقد ذكر ابن تغري بردي أن أبا الحسن بن حمزة الحسني عرض على الأمير تأييد الدولة بن محمد المعروف بالصمصام (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) دخول حمام سالم الذي عند درب سالم في القرافة، يعني: حمام جنادة بن عيسى المعافري الذي عند مصبغة الحفارين المعروفة بفسقية ابن طولون التي هي عند المقبرة الكبيرة على يسرة المتوجه إلى القرافة بالقرب من قبر القاضي بكار. ابن تغري بردي، النجوم، جـ١ ص٤٣-٤٤.
ومن خلال هذا النص يمكن القول: بأن حمام جناده كان يقع في المنطقة الواقعة أمام مشهد
=

(هـ) القناطر والأحواض والآبار

لم يقتصر عمران القرافة على تشييد المساجد والأربطة والجواسق والقصور والحمامات بها كما سبق القول، بل زودت أيضًا بالقناطر[١] والأحواض والآبار حتى تساعد في تيسير سبل الحصول على الماء في تلك القرافة التي امتد إليها العمران بشكل كبير.

ومن أهم هذه القناطر قناطر أحمد بن طولون[٢] (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م) التي تعد من أعظم أعماله المعمارية، وقد روى المؤرخون قصصًا وأساطير تشير إلى سبب بنائها[٣].

=

آل طباطبا بعين الصيرة على يسار الذاهب إلى حمامات عين الصيرة ومحطة الإمام الليث بن سعد حيث لا يزال يوجد أمام مشهد آل طباطبا كوم فوقه نخلتين يعرف بقبر القاضي بكار الذي كان الحمام يقع بالقرب منه، ومن المعروف أن قبر القاضي بكار أُزيل عند فتح الشارع الجديد من عند سبيل الوسية كما سبق القول.

(١) القناطر بناء من الطوب أو الحجر بعين واحدة أو أكثر، وتتكون من أساسات بعرض الممر المائي الذي تبنى عليه، ويطلق عليه اسم الفرش، وعلى الفرش تقام الدعامات التي يطلق عليها اسم البغال، والتي تبنى لإقامة العقود عليها، كما أن هناك دلالات أخرى لمصطلح القنطرة.

عبد الرحمن عبد التواب، منشآتنا المائية عبر التاريخ، المكتبة الثقافية، العدد ٩٦، ١٩٦٣م، ص٩، سامي نوار، المنشآت المائية، ص١١٥.

(٢) استقل ابن طولون بمصر عن الخلافة العباسية، وحكمها فيما بين (٢٥٤ – ٢٧٠هـ/ ٨٦٨-٨٨٣م) الكندي، الولاة والقضاة، ص٢١٢ – ٢٣٢.

ابن خلكان، وفيات، مج١، ص١٧٣.

(٣) عن هذه الأساطير انظر ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص٥٧-٥٨.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٧.

أما الغرض من بناء هذه القناطر، فقد اختلف العلماء بشأنه: فمنهم من يرى أنها أقيمت لتزويد القطائع عاصمة ابن طولون بالمياه اللازمة من أجل توفير كل سبل الراحة لساكنيها[١]، ومنهم من يرى أنها أقيمت لتحقق فائدة مزدوجة وهي توفير المياه لقصر أحمد بن طولون المعروف بقصر الميدان أسفل القلعة، وإلى منطقة القرافة التي يوجد بها قبر الإمام الشافعي صاحب المكانة الكبيرة عند الناس[٢].

والواقع أن ابن طولون أقام هذه القناطر، كي تمر بأرض المعافر -فيما بين بركة الحبش ومصلى خولان عند قبر القاضي بكار؛ لأنهم كانوا يعانون من بعد الماء عنهم، ولم يكن ابن طولون هو أول من اهتم بأمرهم، فقد أمر الأمير يزيد بن حاتم[٣] ببناء فسقية لهم أجرى إليها الماء من ساقية أبي عون وأنفق فيها مالاً عظيمًا[٤].

إلا أن هذا لم يقضِ على مشكلتهم، حتى استجاب ابن طولون لهم، فأمر ببناء

---

(١) سيدة كاشف، أحمد بن طولون، سلسلة أعلام العرب، العدد ٤٨ ، ص٢٥١
زكي حسن، الفن الإسلامي في مصر، جـ١ (القاهرة ١٩٣٥)، ط٢ بيروت (١٩٨١م) ص٦٤.

(٢) فريد شافعي، العمارة العربية، ص ٥٠٨؛ أحمد عبد الرازق، العمارة الإسلامية في العصرين العباسي والفاطمي، القاهرة (١٩٩٩م)،ص١٠١، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، القاهرة (١٩٩٣م) ص ١١٥-١١٧.

(٣) يزيد بن حاتم والي مصر في عهد أبي جعفر المنصور (١٤٣هـ/ ٧٦٢م)وتوفي (١٧٠هـ/ ٧٨٧م). الكندي، الولاة، ص١١١.
ابن خلكان، وفيات، مج٦، ص٣٢١، ٣٢٦.
المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٠٧.

(٤) الكندي، الولاة، ص١١٥، عبد الله خورشيد، القبائل ، ص١٦٣، ١٦٥.
رضوان محمد الجنابي، القبائل العربية في مصر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٧٦م، ص٤٠-٤١.

العين بالمعافرة وأنفق عليها مائة ألف وأربعين ألف دينار[١]، ويضيف البلوي فيذكر أن ابن طولون بنى العين التي بالمعافر بنية صحيحة، ورغبة قوية جميلة، حتى إنها ليس لها نظير، ولقد اجتهد المادرائيون وأنفقوا الأموال الخطيرة ليحاكوها فأعجزهم ذلك؛ لأنها وقعت في موضعٍ جيرانُه كلُّهم محتاجون إليها، وهي مفتوحة طول النهار لمن كشف وجهه للأخذ منها، ولمن كان له غلام أو جارية، والليل كله للضعفاء، والمستورين والمستورات، فهي لهن حياة ومعونة، واتخذ لها المستغل الذي فيه فضل عن الكفاية[٢].

وكانت هذه القناطر تمتد من بئر ابن طولون المعروف ببئر عفصة الكبرى عند بركة الحبش، حتى الفسقية التي بقرب درب سالم[٣] وكان درب سالم يقع قرب قبر

---

(١) البلوي (أبي محمد عبد الله محمد المديني).
سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد علي، دمشق (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، ص٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٣.
ويذكر البلوي أن ابن طولون بنى هذه العين هي والجامع الجديد بما أفاء الله عليه من المال الذي وجده فوق الجبل في الموضع المعروف بتنور فرعون، وقد تولى بناء العين والجامع رجل نصراني حاذق بالهندسة.
البلوي، سيرة، ص٣٥٦.
ويضيف فيقول: إنه حضر جنازة ابن طولون بعض المعافريين ممن فيه الدين والورع والخير نساء ورجال، قد كان له على جماعتهم المعروف الواسع، ولو لم يكن إلا عين الماء التي صارت حياة لهم وصيانة ومرفقًا إلى اليوم وإلى القيامة. البلوي، سيرة، ص٣٤٥.

(٢) البلوي، سيرة، ص١٨٠-١٨١.

(٣) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٧مج ٤، ص ٨٩٣.
وقد نسب هذا الدرب إلى سالم بن أبي سالم الخبشاني المصري.
ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص٢٩، ٥٨.

القاضي بكار[١] مما يدل على أن قناطر ابن طولون، كانت تمر بأرض المعافر كلها فيما بين بركة الحبش في الجنوب –حيث لا يزال يوجد برج المأخذ الخاص بها[٢]– ومصلى خولان عند قبر القاضي بكار في الشمال.

وفي ضوء ذلك يمكن القول بأن هذه القناطر لم تكن تخدم البقعة التي دفن فيها الإمام الشافعي فحسب لا سيما وأن القبر في عهد ابن طولون، لم يكن يتمتع بالمكانة التي وصل إليها فيما بعد في عهد الأيوبيين ولا قصر الميدان، وإنما كانت تخدم خطة المعافر، وبالتالي القرافة كلها، كما أفادتنا النصوص التاريخية في ذلك.

أما عن الامتداد الأصلي لهذه القناطر، فيذكر كازانوفا أنها كانت تصل إلى البركة عند عين الصيرة[٣]، بينما يذكر فريد شافعي أن كازانوفا قد زحزح هذه القناطر عن موضعها الحقيقي، وأنها تبعد عن بركة عين الصيرة بمقدار كيلو مترين تقريبًا[٤].

أما أغرب الآراء وأعجبها في القرن العشرين المنصرم على الإطلاق، فهو ذلك

---

(١) اعتمدت في تحديد موضع هذا الدرب على ما أورده ابن تغري بردي عند حديثه عن حمام جناده بالقرافة فقال: إنه عند درب سالم في القرافة التي عند مصبغة الحفارين المعروفة بفسقية ابن طولون، التي هي عند المقبرة الكبيرة على يسرة المتوجه إلى القرافة بالقرب من قبر القاضي بكار.

ابن تغري بردي، النجوم، جـ١، ص٤٣-٤٤.

(٢) يعد هذا البرج من أكثر الأجزاء الباقية من قناطر ابن طولون تماسكًا، ويعرف ببئر أم السلطان لدى العامة.

ولمزيد من التفاصيل، انظر: فريد شافعي، العمارة العربية، ص٥٠١،

(3) Casanova (M.P.) : Essai de reconstitution Topographi que la ville D al Foustat ou Misr (M.I.F.A.O. – 35, Tome Premier, le Caire, 1919, plan.I.

(٤) فريد شافعي، العمارة العربية، ص٥٠٣، ٥٠٥.

الرأي الذي انتهى فيه صاحبه إلى أن هذه القناطر كانت غربي مصر، وأنها كانت تبدأ بجوار النيل من جهة الفسطاط، وتنتهي في الصحراء التي نصل عن طريقها إلى الإسكندرية[1]، فهل

---

(١) محمد محمد الكحلاوي، آثار مصر الإسلامية، ص١٤١، والحق أن هذا الرأي الغريب والعجيب من شأنه أن يهدم كل مقومات وأركان البحث العلمي والمنهج السليم المتعارف عليه بين غالبية العلماء والباحثين الثقات، ولا ينطبق على هذا الرأي سوى المقولة المعروفة للجميع من أن ما بني على خطأ يؤدي إلى الخطأ، فالباحث المذكور اعتمد على نص للرحالة ابن جبير، واعتبره أقدم نص في وصف قناطر ابن طولون، وبالتالي لم تخلُ سطوره من إفادة أثرية ومعمارية كبيرة متمثلة في تحديد بداية القناطر وامتدادها، وبيان عدد أقواسها -أي العقود الحاملة لها- الكبيرة ثم نهايتها في الصحراء التي نصل عن طريقها إلى الإسكندرية (ص١٤١)

والحق أن نص ابن جبير ووصفه لا علاقة له من قريب أو من بعيد بقناطر ابن طولون؛ لأنه لو كان ذلك صحيحًا، لكانت قناطر ابن طولون تمتد من البساتين جنوب القاهرة، حتى بداية طريق مصر الإسكندرية الصحراوي.

والصواب في ذلك أن نص ووصف ابن جبير؛ إنما يتعلق بقناطر السلطان صلاح الدين الأيوبي التي شرع في بنائها بغربي مصر، وعلى مقدار سبعة أميال منها، والتي اعتبرها ابن جبير من مفاخر السلطان وآثاره الباقية المنفعة للمسلمين، ومن الطريف أن الباحث المذكور قد اعتبر ابن طولون هو السلطان المذكور في النص، مع أن هذا اللقب لم يعرف بهذه الدلالة إلا منذ عصر السلاجقة وما تلاه،

وعن قناطر صلاح الدين انظر: ابن جبير، الرحلة، ص٢٧-٢٨، ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص١٢٧، المقريزي، الخطط، جـ١، ص.

ابن الوردي خريدة العجائب وفريدة الغرائب، بيروت (١٩٩١م)، ص٤٥.

سامي محمد نوار، المنشآت المائية، ص٥٧-٥٨.

والحق أن هناك الكثير من علامات الاستفهام التي تثار حول مدى جدية الأبحاث التي يتم تحكيمها ونشرها في المجلات والدوريات العلمية – رغم ما يقال من أنها محكمة أو تنشر مستقلة، ويتم إجازتها من قِبَل اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين في الآثار الإسلامية، وهو الأمر الذي سرعان ما تتجلى خطورته وتتضح آثاره =

هذا معقول؟؟! بل هل يستطيع أحد أن يصدق مثل هذه الفتوى غير الشرعية، وغير المسبوقة والتي لم يُسْمَع بمثلها -ولن-؟! ولذلك فمن الأجدر أن توصف بأنها إحدى عجائب الفكر -غير العلمي- في القرن العشرين.

والواقع أنه بمشاهدتنا لهذه القناطر على الطبيعة من عند بداية مأخذها بالبساتين، وجدنا أنها تمتد لمسافة ٢.٥ كم حتى تنتهي عند مكان يقع إلى الجنوب من مسجد سيدي عقبة[1] أما النصوص التاريخية السابقة، فتفيدنا بأن هذه القناطر

=

السلبية، عندما يصبح أصحاب هذه البحوث ضمن أعضاء اللجنة، أو ممن يحكمون الأبحاث المقدمة للترقية؛ وما دام الأمر كذلك؛ فماذا تكون النتيجة...؟؟

وبعد .. فهذه دعوة مخلصة، وخالصة لوجه الله سبحانه وتعالى، حتى ننتبه لخطورة الوضع، ونتدارك الأمر، قبل فوات الأوان، فإذا كانت الغايات كلها لا تدرك فالأولى ألا تترك، فما لنا من ارب سوى أن يسود أسلوب البحث العلمي الرصين، وتنتشر قواعد المنهج العلمي السليم حتى نستطيع أن نفرق بين الغث والسمين، والصحيح والمدسوس، والحق والباطل، والأصيل والدخيل.

وبهذا الأسلوب، وبهذه الطريقة تستقيم الأمور، ويأخذ كل ذي حق حقه، والحق أحق أن يتبع.

وفي الختام؛ فإن ما يسود غالبية الساحة العلمية الآن -إلى أن يحدث العكس- لا ينطبق عليه سوى قول القائل: "تملأ الكوز غرفة من محيط فيرى الكوز أنه هو المحيط"، أو كما يقال: قبَّل العلم رأس الجهل وانصرف.

ولمزيد من التفاصيل عن هذه الظاهرة وغيرها انظر كتابنا الموسوم بـ "الفتاوى غير المسبوقة في الآثار الإسلامية" قيد النشر.

(١) انظر خريطة الفسطاط في Kubiak, op.cit, pl. I ومما له دلالته في هذا الصدد، أنه إذا مد خط مستقيم من الموضع الذي تنتهي عنده قناطر ابن طولون (إلى الجنوب من مسجد سيدي عقبة كما سبق القول) سيصل إلى قبة الإمام الشافعي فعلاً، ومما يعضد هذا الأمر ويعززه

=

كانت تصل إلى الفسقية التي عند درب سالم بالقرب من قبر القاضي بكار أي إنها كانت تقع في المنطقة التي يوجد بها الآن مشهد آل طباطبا على يسار الذاهب إلى حمامات عين الصيرة ومحطة الإمام الليث بن سعد، وفي ضوء ذلك يمكن القول أن تحديد كازانوافا يتفق إلى حد ما مع ما جاء في المصادر التاريخية.

هذا وقد بنيت قناطر ابن طولون بآجر يماثل في الشكل والحجم آجر الجامع الطولوني، كما أن عقودها المدببة تشبه عقود الجامع أيضًا[١].

كذلك أقام الأفضل[٢] شاهنشاه بن بدر الجمالي، قناطر للشيخ الأطفيحي[٣] عندما شكا له تعذر الماء ووصوله إليه، فبنى له هذه القناطر التي كانت في عرض

=

حفائر عبد الرحمن عبد التواب الذي تتبع امتداد السقاية بعد نهايتها، مع تقاطع شارع ٩٤ تعويضات (الرحمة سابقًا) فوجد السقاية تتجه شمالاً في اتجاه الإمام الشافعي.
سامي محمد نوار، المنشآت المائية، ص٧٧.

(١) محمود عكوش، تاريخ ووصف الجامع الطولوني، القاهرة، ١٩٢٧، ص١٢٤ حاشية (١) زكي حسن، الفن الإسلامي في مصر، جـ١ ص، سامي نوار، المنشآت، ص٧٨؛ أحمد عبد الرازق، العمارة، ص١٠٢.
Corbett, E.R, The life and works of Ahmed ibntulun J.R.A.S. (1891), pp. 531-532.

(٢) هو أحمد بن بدر الجمالي أبو القاسم شاهنشاه الملقب بالملك الأفضل (ت ٥١٥هـ/ ١١٢١م).
ابن خلكان، وفيات، مج٢، ص٤٥٠-٤٥١، أيمن فؤاد سيد، الدولة، ص١٥٣-١٥٥، يمنى رضوان، الأسرة الجمالية ودورها في الحياة السياسية والحضارة في عهد الدولة الفاطمية، والقاهرة ١٩٩٤م، ص ٧٥-٩١.

(٣) انظر حاشية ٦ ص ٤٩ من هذا الفصل.

القرافة من المجرى الكبيرة الطولونية، ومضى عليها من النفقة خمسة آلاف دينار[١] وكانت تصل إلى المسجد.

وإلى جانب القناطر وجدت بالقرافة أيضًا الأحواض[٢]، والآبار[٣]، وذلك

---

(١) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥١.
ولحسن الحظ اكتشفت هذه القناطر بالقرب من القباب السبع ومشهد خضرة الشريفة في المنطقة التي تعرف حاليًا باسم عزبة خير الله الجديدة على مسافة غير بعيدة من خيالة الشرطة بعين الصيرة، ويبدو أن هذه القناطر كانت مستعرضة على قناطر ابن طولون وليست موازية لها (انظر خريطة رقم ١) مما يدل على أنها كانت مجرد تفريعة من القنطرة الطولونية وهو ما يتفق مع ما ورد في المقريزي.
وانظر أيضًا، سامي محمد نوار، المنشآت. ص٧٨، ٨٢.

(٢) ومن هذه الأحواض، حوض القرافة، وقد أمرت ببنائه السيدة ست الملك، عمة الحاكم بأمر الله ابنة المعز لدين الله في شعبان (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)، واختل في (٥٤٦هـ/ ١١٥١م) فأمر بعمارته وزير مصر أبي الحسن بن السلار، ثم جدده القاضي أبو الحسن علي بن عثمان (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، ومنها حوض بجوار قصر القرافة في ظهر الحمام العزيزي، بحضرة فرن القرافة أمرت ببنائه أم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله.
ومنها حوض بحضرة الأشعوب، وهو قصر بني عقيب، ومنها حوض داخل قصر أبي المعلوم مجاور للبئر الكبيرة ذات الدواليب، بناه المحتسب الفارسي مع عمارة البئر والميضأة في أيام السيدة أم العزيز، ويقال: إن الحوض والبئر من بناء الماذرائي، وإنما جددته عمة الحاكم.
ومنها حوض بقصر بني كعب، وبجانبه بئر أنشأه الحاجب لؤلؤ، وللأسف فإن هذه الأحواض قد خربت واندثرت.
المقريزي، الخطط ص٤٥٩-٤٦٠، مج ٤، ص ٩٠٤-٩٠٥.

(٣) ومنها بئر أبي سلامة، وبئر الدرج، وبئر النعش، وبئر السقايين، وهي المعروفة ببئر أبي موسى خليد وبئر الزقاق.
المقريزي، الخطط، جـ ٢، ص٤٦٠، مج ٤، ص ٩٠٦-٩٠٧.

لخدمة القصور التي أقيمت بها.

هذا وقد أجريت حفائر علمية منظمة في منطقة إصطبل عنتر جنوب الفسطاط من قِبَل المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة منذ عام ١٩٨٥م[١] (شكلا ١-٢)، وهي نفس المنطقة التي كان يعرف موضعها بالرصد، وكان هذا الموضع يمثل آخر حدود القرافة الكبرى من جهة الغرب كما سبق القول.

وقد أسفرت هذه الحفائر عن اكتشاف آثار متنوعة مهمة من مقابر وأحواض وقناطر، فضلاً عن مسجد عباسي وبعض التحف الفنية من القطع الخزفية، وقطع الأوستراكا التي تتضمن بعض النقوش الكتابية الإسلامية من البسملة وبعض الأدعية والأسماء وغير ذلك.

وترجع أقدم هذه الآثار إلى العصر الأموي، وبعضها يرجع إلى العصر العباسي، أما غالبيتها فترجع إلى العصر الفاطمي[٢] (أشكال ٣-١١).

والحق أن اكتشاف هذه الآثار، فضلاً عن الآثار الباقية، إنما يؤكد صدق ما ورد في المصادر التاريخية حول عمران هذا الموضع من القرافة الكبرى، وهو العمران الذي بلغ غايته خلال العصر الفاطمي كما سبق القول.

---

(1) Gayraud, R.P., istable-Antar (Fostat) 1985. Rapport de Fouilles, Annales Islamologiques, Tome xxII, iFAO, le caire, 1986, pp, 1-26.
Gayrud, Istable, annales, Tomexx III, 1987, pp, 55-71, Tome xxvII, 1993, pp, 225-232, Tome xxvIII, 1994, pp. 1-13, Denoix,s les Ostraca De Istable- Antar, 1985, Annales, Tome xxII , 1986, pp. 27-33, pls, X III- X va

(2) Gayrud, istable, annales, Tomexx III, 1987, pp, 55-71, Tome xxvII, 1993, pp, 225-232, TomexxvIII, 1994, pp. 1-13, denoix,s les ostraca de istable- Antra, 1985, Annales, Tome xxII , 1986, pp. 27-33, pls, X III- X va

رابعًا: القرافة الصغرى في العصر الأيوبي

٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م

شهدت القرافة نشاطًا عمرانيًّا ملحوظًا في العصر الأيوبي، خاصة زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) والملك الكامل محمد (ت ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م) في سلطنة أبيه الملك العادل أبي بكر (ت ٦١٥هـ/ ١٢١٨م).

وتفصيل ذلك أن صلاح الدين عُني بعمارة مقبرة الإمام الشافعي[1] (شكل ١٦)

---

(١) تذكر المصادر أن الإمام الشافعي، توفي في آخر يوم من رجب، وقيل: ليومين بقيا من رجب (٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، ودفن في مقابر قريش، وحوله جماعة من بني زهرة من أولاد عبد الرحمن بن عوف، ولذا عرفت هذه المقبرة بمقبرة بني زهرة، وبمقبرة أولاد ابن عبد الحكم، وقبره مشهور مجمع عليه، وهو القبر البحري من القبور الثلاثة التي تجمعها مصطبة واحدة غربي الخندق، وقيل: بل دفن بحومة قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم وبين قبورهم.
المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي)، (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، ١٩٦٥م، جـ٤، ص٢٣-٢٤.
الخزرجي، (موفق الدين أبي محمد عبد الرحمن الخزرجي الأنصاري)، مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، ويسمى أيضًا الدر المنظم في زيارة الجبل المقطم، مخطوط مصور عن المتحف البريطاني تحت رقم(٤٦٣٥) مكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦٣٨٩ ورقة ٢٥٥.
ابن خلكان، وفيات، مج٤، ص١٦٥.
ابن كثير (عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م، البداية والنهاية في التاريخ، ١٩٣٢م، جـ١٠، ص٢٥٤.
ابن الزيات، الكواكب ص٢٠٩، المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٦٢.
ابن ظهيرة، الفضائل، ص١٩٢.
أما ابن إياس فقد ذكر أنه دفن في القرافة الكبرى مقابل تربة القاضي بكار.
ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ١، ص١٤٥.

عناية بالغة وفي ذلك يقول ابن تغري بردي: وكان موضع دفنه ساحة حتى عَمَّرَ تلك الأماكن السلطان صلاح الدين يوسف[١]، فقد قام ببناء مدرسة مجاورة لمقبرة الإمام الشافعي[٢]، وقد عرفت هذه المدرسة باسم المدرسة الناصرية[٣]؛ نسبة إلى لقبه الناصر أو الصلاحية[٤] نسبة إلى اسمه، وجعل التدريس والنظر بها للشيخ نجم

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم، جـ٢، ص١٧٧.

(٢) ابن خلكان، وفيات، مج٧، ص٢٠٦.

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل) (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)؛ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، جـ٢، عصر صلاح الدين، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٧م، ص٥٤-٥٥.

المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، جـ١، ق١، القاهرة ١٩٣٤م، ص٨٦.

السيوطي، حسن المحاضرة، جـ٢، ص٢٥٦.

ويذكر الخزرجي أن الإمام الخبوشاني، هو الذي أشار على السلطان ببناء هذه المدرسة «فقبل ذلك منه وبناها»، الخزرجي، مرشد، ورقة (٢٥٨)؛ بينما يذكر ابن كثير أن الخبوشاني هو الذي «بنى تربة الشافعي بمصر بأمر السلطان صلاح الدين ووقف عليها أوقافاً سنية وولاه تدريسها ونظرها».

ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٢، ص٣٤٧.

(٣) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٠٠.

وهي غير المدرسة الناصرية التي أمر ببنائها السلطان صلاح الدين بجوار جامع عمرو بن العاص.

(٤) السيوطي، حسن المحاضرة، جـ٢، ص٢٥٧.

حسنين ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، القاهرة ١٩٦٤م، ص٧٧، ويضيف السيوطي فيقول :إنه ينبغي أن يقال لها «تاج المدارس ، وهي أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعي، ولأن بانيها أعظم الملوك ليس في ملوك الإسلام مثله لا قبله ولا بعده».السيوطي، حسن المحاضرة، جـ٢، ص٢٥٧.

الدين الخبوشاني[١]، وشرط له من المعلوم في كل شهر أربعين دينارًا معاملة صرف كل دينار ثلاثة عشر درهمًا وثلث درهم عن التدريس، وجعل له عن معلوم النظر في أوقاف المدرسة عشرة دنانير، ورتب له من الخبز في كل يوم ستين رطلاً بالمصري، وراويتين من ماء النيل[٢].

كذلك أوقف السلطان صلاح الدين «حمامًا عليها، وفرنًا تجاهها، وحوانيت بظاهره» وجعل فيها معيدين وعدة من الطلبة[٣].

ويدلنا هذا النص على أن نفقات هذه المدرسة، بلغت مبلغًا كبيرًا بالقياس إلى غيرها من المدارس التي أمر بإنشائها صلاح الدين إذ كان راتب متولي تدريسها والنظر في أوقافها على هذه الدرجة الكبيرة التي سبق ذكرها؛ هذا بخلاف رواتب المعيدين والطلبة بها، كما قام ديوان الأحباس[٤] بالنفقة عليها من حصيلة أوقاف

---

(١) هو نجم الدين أبو البركات محمد بن سعيد بن علي، كان فقيهاً فاضلاً كثير الورع، وبه يضرب المثل في الزهد، ولد في رجب (٥١٠هـ/ ١١١٦م)، وتوفي في ذي القعدة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) ودفن في قبة مفردة تحت رجلي الإمام الشافعي.
السيوطي، حسن المحاضرة، جـ١، ص٤٠٦-٤٠٧.
المناوي، عبد الرءوف، (ت ١٠٣١هـ)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية أو طبقات المناوي الكبرى، مج١، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة ١٩٩٤م،ص ٧٠١-٧٠٣.

(٢) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٠٠.
السيوطي، حسن المحاضرة، جـ٢، ص٢٥٧.

(٣) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٠٠.

(٤) ديوان الأحباس: نشأ هذا الديوان في العصر الفاطمي، وكان يشرف على جباية ريع الأحباس سواء تلك التي حبسها الأفراد، أو التي حبسها الخلفاء، كما أنه كان يشرف على توجيه إيرادات الأوقاف إلى مصارفها الصحيحة، متبعًا الشروط التي وضعها الواقف في

صلاح الدين عليها، وهي الحمام والفرن والحوانيت التي سبق ذكرها، إلى جانب بعض الرباع وأراضي جزيرة الفيل خارج القاهرة[١].

أما عن تاريخ بناء هذه المدرسة، فقد بدأ في عام (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) وتم الفراغ منه في عام (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) كما يستدل من النقش التأسيسي الخاص بها الذي يعد أقدم النقوش الإنشائية الباقية على العمائر الأيوبية بالقاهرة والمكتوبة بالخط النسخ[٢].

=

وثيقة الوقف، أما في العصر الأيوبي، فقد أشرف هذا الديوان على الأوقاف المختلفة التي وقفها السابقون، وفقدت وثائق تحبيسها وجهات مصارفها لتطاول العهد بها، وتولى الديوان الإنفاق من ريعها على الجوامع والمساجد والسقايات وجرايات المتصدرين لإقراء القرآن الكريم والعلوم الشريفة وغيرهم من الأئمة والخطباء والمؤذنين والمبلغين، وطلبة العلم، وأرباب الصدقات والرواتب.

محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، القاهرة ١٩٨٠م، ص٥٢، ٥٤، ٥٧.

(١) حسنين ربيع، النظم المالية، ص٧٧.

(٢) ويقرأ هذا النقش على النحو التالي «بنيت هذه المدرسة باستدعاء الشيخ الفقيه الإمام.. الزاهد نجم الدين ركن الإسلام قدوة الأنام مفتي الفرق أبو البركات الخبوشاني أدام الله توفيقه لفقهاء أصحاب الشافعي رضوان الله عليه الموصوفين بالأصولية الموحدة الأشعرية على الحشوية وغيرهم من المبتدعة؛ وذلك في شهر رمضان سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

جاستون فييت، القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة مصطفى العبادي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك ١٩٦٨م ص٨٩.

وعلى ذلك فإن هذا النقش يعد أقدم النقوش النسخية الأيوبية على العمائر، ويليه نقش باب القرافة والسور المتصل به بقلعة الجبل (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م) ثم نقش باب المدرج بالقلعة المؤرخ (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)؛ والذي كان يظن أنه أقدم مثل لظهور الخط النسخ على العمائر الأيوبية ولكن ظهور كل من هذين النقشين يجعله الثالث وليس الأول، ومن ناحية

=

ومما لا شك فيه أن صلاح الدين، أراد ببناء هذه المدرسة، أن تمتد يد التعمير إلى القرافة من جديد، بعد ما أصابها الخراب، وهجرها سكانها في نهاية العصر الفاطمي، بحريق الفسطاط وجامع القرافة، ومن ثم كان بناء هذه المدرسة له أثره الكبير؛ فقد شجع الناس على العودة إلى القرافة، ويؤكد ذلك ما ذكره المقريزي من أن الناس كثروا بالقرافة الصغرى عندما عمر السلطان صلاح الدين المدرسة بجوار قبر الشافعي، وجعل لها مدرسًا وطلبة[١].

وقام السلطان صلاح الدين أيضًا بهدم القبة المقامة على قبر عقبة[٢] بن عامر وأقام غيرها[٣].

=

أخرى فإن نقش تابوت الإمام الشافعي الخشبي المؤرخ بعام (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م) يعد أقدم نقش بالخط النسخ على التحف التطبيقية الأيوبية في مصر.

(١) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٢٩٦.

علي مبارك، الخطط التوفيقية، جـ٤، ص١٥١

(٢) هو عقبة بن عامر الجهني ولي إمرة مصر من قِبَل معاوية عام (٤٤هـ/ ٦٦٤م)، وتوفي عام (٥٨هـ/ ٦٧٧م) ودفن بالقرافة الكبرى. السخاوي، تحفة الأحباب، ص٣٤٥.

ابن اياس، بدائع، جـ١ ،ق١،ص١١٨.

ولمزيد من التفاصيل انظر: محمد حمزة الحداد، موسوعة، مج٢، جـ١ ، القسم الأول ص٢٣٩- ٢٧٦.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم،جـ١، ص١٢٩-١٣٠.

السخاوي، تحفة، ص٣٤٥.

حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، جـ١، القاهرة ١٩٤٦، ص٣١٦.

وقد ذكر هؤلاء أن البقعة التي فيها عقبة، بها أيضًا قبر عمرو بن العاص، وأبي بصرة الصحابيين، تحويهم القبة التي هدمها صلاح الدين وأقام غيرها.

obeikandl.com

هذا وقد زار ابن جبير[١] مصر في تلك الفترة؛ ووصف القرافة وما شاهده فيها فقد قام بزيارة مشهد الشافعي، والمدرسة التي أمر بإنشائها صلاح الدين، ووصفه بأنه من المشاهد العظيمة احتفالاً واتساعًا وبنى بإذائه مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها، لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء يخيل لمن يتطوف عليها، أنها بلد مستقل بذاته بإذائها الحمام إلى غير ذلك من مرافقها والبناء فيها حتى الساعة، والنفقة عليها لا تحصى، تولى ذلك بنفسه الشيخ الإمام نجم الدين الخبوشاني، وسلطان هذه الجهات يسمح له بذلك كله، ويقول له زد احتفالاً وتأنقًا، وعلينا القيام بمؤنة ذلك كله فسبحان الذي جعل صلاح دينه كاسمه[٢].

وذكر ابن جبير أنه بات بالقرافة ووصفها بأنها «إحدى عجائب[٣] الدنيا، لما تحتوي عليه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم، وأهل البيت رضوان الله عليهم والصحابة، والتابعين، والعلماء، والزهاد، والأولياء ذوي الكرامات الشهيرة ،

---

(١) ابن جبير هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير البلنسي، نزيل شاطبة، ولد (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، بدأ رحلته إلى الأراضي الحجازية (٥٧٨هـ/ ١١٨٣م)، ورحل إلى المشرق مرتين، وفي الثالثة توفي في الإسكندرية (٦١٤هـ/ ١٢١٧م).
زكي حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٤٥م) ص٧٠، ٨٨ ،
ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، بيروت ١٩٩٩م، ص٨٢-٨٧.

(٢) ابن جبير، الرحلة، طبعة بيروت، ص٥٠.
لينبول، سيرة القاهرة، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين، القاهرة ١٩٥٠م، ص١٦٢-١٦٣.
عبد الرحمن زكي، القاهرة تاريخها وآثارها، ص٨٣.

(٣) ظن أحد الباحثين أن هذا الوصف ينطبق على قرافة المماليك شمال القلعة، مع أنها لم تكن ظهرت إلى الوجود بعد فكيف يكون ذلك؟.
فتحي الحديدي، دراسات، ص١٦١.

والأنباء الغريبة[١] ثم عدد ابن جبير أسماء هذه المشاهد؛ لا سيما ما هو خاص منها بآل البيت وذكر أنه عرف أسماءهم من التواريخ الثابتة عليها، وأن كل مشهد منها بناء حفيل؛ فهي بأسرها روضات بديعة الإتقان، عجيبة البنيان، قد وكل بها قومه، يسكنونها ويحفظونها، ومنظرها منظر عجيب، والجرايات متصلة لقوّامها في كل شهر[٢].

ويستدل من هذا النص الأخير أن المشاهد الفاطمية المنتشرة بالقرافة لم يهمل شأنها في عصر صلاح الدين، كما قد يتبادر إلى الذهن، بل العكس هو الذي حدث.

وتحدث ابن جبير بعد ذلك عن مشاهد الصحابة، والتابعين، والأئمة العلماء والزهاد، والأولياء ذوي الكرامات، وذكر أن المشاهد الكريمة بالقرافة أكثر من أن تضبط بالتقييد، أو تتحصل بالإحصاء وأنه ذكر منها ما أمكن مشاهدته[٣].

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص٤٩.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص٤٩-٥٠.

Morgoliouth (S) : Cairo, Jerusalem, Damascus, London, 1907, pp. 57, 58.

إلا أننا نلاحظ أن (مارجليوث) تناول هذه الرحلة بصورة عامة، تخالف ما هو موجود بالرحلة أصلاً، فقد ذكر ما ذكره ابن جبير عن الأعداد الكبيرة من مشاهد آل البيت من الرجال والنساء دون أن يذكر أسماءها، مثلما ورد في ثنايا الرحلة، واكتفى فقط بذكر المشهد الحسيني الذي ذكر ابن جبير أنه بني عليه «بناء حفيل يقصر الوصف عنه، ولا يحيط الإدراك به».

انظر أيضًا عبد الرحمن زكي، القاهرة تاريخها وأثارها ص٨٢.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص٥١.

والواقع أنه لا يوجد أثر اليوم للمشاهد الكثيرة التي ذكرها ابن جبير أثناء زيارته للقرافة، كما أنه لا يميز بعضها، خاصة ما كان منها للأنبياء وأصحاب رسول الله ﷺ غير رواية ابن جبير وغيرها من الروايات التاريخية؛ أما المشاهد التي ذكرها، ولا تزال باقية فهي مشهد =

وتحدث ابن جبير بعد ذلك عن الجزء الجنوبي من القرافة فذكر أن بقبلة القرافة المذكورة، بسيط متسع يعرف بموضع قبور الشهداء[١]، وهم الذين استشهدوا مع سارية رضي الله عنهم جميعهم، والبسيط المذكور مسنم كله للعيان، على مثال أسنمة القبور دون بناء[٢].

=

الإمام الشافعي، والمشهد الحسيني (رغم أنه ليس بالقرافة).

(١) يذكر كل من ابن الزيات والسخاوي أن موضع قبور الشهداء في مقابل تربة العز بن عبد السلام وهم الذين قتلوا في فتوح مصر مع عمرو بن العاص، وعددهم أربعمائة رجل، وقيل أربعمائة وثلاثين رجلاً، قتلوا وهم ساجدون، وهذا المكان يسمى مجر الحصا بينه وبين الجبل نصف ميل.

ابن الزيات، الكواكب، ص٢٧٢-٢٧٣.

السخاوي، تحفة، ص٣٦٧.

أما ياقوت فقد ذكر أن عددهم ستمائة ونيفًا، وأنهم قتلوا في الحرب التي دارت بين أتباع ابن الزبير، وبين مروان بن الحكم الخليفة الأموي(٦٥هـ/ ٦٨٥م)، فدفن المصريون قتلاهم في هذا الموضع، وسموه مقابر الشهداء، وغلب عليها هذا الاسم إلى هذه الغاية.

الحموي، معجم، مج٨، ص١٠٧.

أما المقريزي فيذكر أنه بعد هذه الحرب «دفن أهل مصر قتلاهم، فيما بين الخندق والمقطم وهي المقابر التي يسميها المصريون مقابر الشهداء، وكان قتلى أهل مصر ما بين الستمائة إلى السبعمائة».

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٥٨.

وبما أن تربة العز بن عبد السلام، لا تزال موجود لليوم بالقرافة، فيما بين السادات الوفائية وسيدي عقبة شرقي مقابر الصدقة، في المنطقة التي تعرف اليوم بقرافة النخال قرب التونسي وهي التربة المعروفة باسم عز الرجال؛ فإننا نستنتج أن موضع قبور الشهداء كان أمام قبر العز بن عبد السلام أو بالقرب منه.

(٢) ابن جبير، الرحلة ص٥١.

=

وقد شاع على الألسنة أن المقصود بنص ابن جبير هذا، هو المسجد الموجود بالجهة الشمالية الشرقية من القلعة، والمشهور باسم سارية الجبل[١]، والذي جدده سليمان باشا الوالي العثماني على مصر في عام (٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م)[٢].

والواقع أنه لا علاقة بين سارية هذا، وبين المسجد، لأنه لم يثبت أن سارية توفي

=

جاستون فييت، القاهرة، ص٢١٣.

البلوي، (خالد بن عيسى البلوي أبو البقاء).

تاج المفرق في تحلية علماء أهل المشرق، مخطوط، دار الكتب ٤٠٠ جغرافيا، ميكروفيلم، ٤٥٧٧٣ ورقة ٦١، جـ١، تحقيق الحسن السائح، ص٢٢٤.

(١) هو سارية بن ذنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر، وهو الذي ناداه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا سارية الجبل الجبل من استرعى الذئب ظلم.

ابن الأثير، أسد الغابة، مج٢، ص٣٠٦.

البلوي، تاج، ، ورقة ٦٠.

الشعراني، عبد الوهاب، لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، والمعروفة بالطبقات الكبرى، جـ٢، ص٢٠٤.

علي مبارك، الخطط التوفيقية، جـ٥، ص٣٩.

سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، جـ٢، القاهرة ١٩٧٣م، ص١٣٧.

(٢) ابن عبد الغني، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، القاهرة ١٩٧٨، ص١٠٧.

ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص١٥٠؛

حسن عبد الوهاب، جامع السلطان حسن وما حوله (المكتبة الثقافية، العدد ٥٦، القاهرة ١٩٦٢) ص٩٣.

الحداد، موسوعة، المجلد الأول، المدخل (الكتاب الأول) القاهرة ١٩٩٨م، ص ٩٣-٩٤

بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية (الكتاب الأول)، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٢٨٣-٢٨٥.

بمصر أو حضر إليها واستقر بها[١].

هذا من ناحية؛ كما أن منشئ هذا المسجد هو الأمير أبو منصور قسطه الآمري في (٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)، كما يستدل من النقش الإنشائي بأعلى باب المدفن الملحق بالمسجد.

ومن ناحية ثالثة فإن نص ابن جبير نفسه يتعلق بموضع قبور الشهداء التي تقع في قبلة القرافة أمام تربة العز بن عبد السلام التي لا تزال باقية لليوم كما سبق القول.

والصحيح في ذلك أنه ربما حدث خلط؛ لأنه كان يوجد بالقرافة خط يعرف بخط سارية[٢]، وبالقلعة خط آخر يعرف بهذا الاسم أيضًا فيذكر المقريزي أن أبا الحسن الرديني دفن بخط سارية شرقي تربة الكيرواني بالقلعة[٣].

فربما كان هذا التشابه بين هذا اللفظ؛ وبين اسم سارية الجبل الصحابي الجليل هو الذي أدى إلى إطلاق هذا الاسم، وشيوعه وانتشاره حتى يومنا هذا.

---

(١) السخاوي، تحفة، ص٣٦٩، ٣٨٨-٣٨٩.
علي مبارك، الخطط التوفيقية، جـ٥، ص٣٩.
أما النابلسي فقد ذكر أن سارية الجبل «لما مات دفن في مصر، فكأنه امتثل نداء عمر رضي الله عنه بعد وفاته أيضًا فهو سارية الجبل حكمة إلهية».
وبذلك نرى أن النابلسي هو الوحيد الذي ذكر أن سارية الجبل مدفون في مصر.
النابلسي، ، عبد الغني بن إسماعيل، (ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م) الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبد المجيد هريدي، مركز تحقيق التراث، القاهرة ١٩٨٦م، ص٢٤٩.

(٢) حسن قاسم، المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية، جـ٥، القاهرة ١٩٤٥م، ص١٧.

(٣) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٢٠٣.

واختتم ابن جبير زيارته للقرافة فقال «ومن العجب أن القرافة المذكورة كلها مساجد مبنية، ومشاهد معمورة، يأوي إليها الغرباء والعلماء والصلحاء والفقراء والأجراء على كل موضع منها متصل من قِبَل السلطان في كل شهر»[١].

هذا ولم يقتصر تعمير القرافة على السلطان صلاح الدين فحسب، بل كان لبعض الأمراء دورهم في ذلك؛ ومنهم الأمير الحاجب لؤلؤ العادلي[٢] الذي أمر في عام (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م) ببناء بستان وأحواض ومقعد برحبة مسجد الأندلس ورباطه بالقرافة الصغرى[٣] وجمع بين مصلى الأندلس وبين الرباط، بحائط بينهما[٤].

وقام أيضًا ببناء مسجد بجانبه مقبرة له، وحفر عندها بئرًا، وعندما توفي في ١٣ صفر ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م كما يستدل من نقشه الشاهدي المحفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة وليس في ٩ جمادى الآخر ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م كما ذكر المقريزي دفن فيها[٥].

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص٥١.

(٢) كان لؤلؤ الحاجب أرمني الأصل، ومن جملة أجناد مصر في أيام الخلفاء الفاطميين، وفي أيام صلاح الدين خدم تقدمة الأسطول، وتوفي ٩ جمادى آخر (٥٩٦ هـ/ ١١٩٩م).
المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٨٥-٨٦.

(٣) انظر ص٥١، ٦٠ من هذا الفصل.
وينبغي أن نصحح هنا ما ذكره الطاهر مكي من أن مسجد ومصلى ورباط الأندلس كانوا في الفسطاط وليس في القرافة الصغرى.
الطاهر أحمد مكي، دراسات أندلسية، ط٢، ١٩٨٣م، ص٢٥.

(٤) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٦.

(٥) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٨٦،٤٥٦ (رقم السجل ١١٧٠٣).

وقام مسرور الخادم ببناء مسجد وضريح بالقرافة الصغرى، وقد دفن فيه بعد وفاته[١].

وقام الهروي[٢] أيضًا بزيارة القرافة، وذكر أنها «جبانةفي جبل المقطم[٣] ومن المشاهد التي زارها مشهد الإمام الشافعي، ومشهد السيدة نفيسة وغير ذلك؛ كما ذكر أن بالقرافة من الصحابة والتابعين والصالحين خلقًا كثيرًا[٤].

وذكر الهروي أيضًا أنه يقرأ عند قبر الليث بن سعد «كل يوم جمعة ختمة ويجتمع بها خلق من الزوار[٥].

---

(١) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص٢٥.

(٢) هو أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي الأصل، الموصلي المولد، السائح المشهور نزيل حلب، طاف البلاد، وأكثر من الزيارات، ولم يصل إلى موضع، إلا كتب خطه في حائطه، توفي في رمضان (٦١١هـ/ ١٢١٤م).
ابن خلكان، وفيات، مج٣، ص٣٤٦-٣٤٧.
ويذكر زكي حسن أن رحلة الهروي تمت كتابتها عام (٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م) زكي حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص٩٠؛ هذا وقد عنيت بنشره وتحقيقه جانين سورديل – طومين، دمشق (١٩٥٣م)، وقد اعتمدنا على المخطوط وعلى النسخة المحققة.

(٣) الهروي، علي بن أبي بكر بن علي الهروي (ت ٦١١هـ/ ١٢١٤م)، الإشارات في الزيارات، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٦٧ جغرافيا، ميكروفيلم ٧٩٤٦٢٣٨ق) ورقة ٢٧ وجه، ص٣٥.

(٤) الهروي، الإشارات، ورقة ٢٧ وجه، ٢٨وجه، ٢٩وجه وظهر؛ ص٣٥-٣٨.
ومن المشاهد والقبور التي ذكرها قبر عقبة بن عامر الجهني، وقبر سارية وأصحابه، وقبر معاذ بن جبل، وقبر رويبل بن يعقوب، وقبر بكار، والدينوري، والجميزي، وابن طباطبا، والأنباري، وأشهب وقبر ورش صاحب نافع، وذي النون المصري، ومشهد الفتح والأندلس وغيرهما.

(٥) الهروي، الإشارات، ورقة ٢٨ ظهر، ص٣٦.

=

أما الملك الكامل محمد، فقد أمر في عام (٦٠٨هـ/ ١٢١١م) ببناء القبة[١] العظيمة على قبر الشافعي (شكل ١٦) وبلغت النفقة عليها خمسين ألف دينار مصرية، وأجرى لها الماء من بركة الحبش بقناطر متصلة منها[٢].

ويرى شافعي أن هذه القناطر التي نسبها المقريزي للكامل محمد هي نفسها قناطر ابن طولون؛ وأنها كانت تقوم بوظيفتها على وجه مرضٍ حتى زمن صلاح الدين، ولعله قام بإصلاحها، لأنه ما كان لصلاح الدين أن يشيد مدرسة يقيم فيها المعيدون والطلبة في تلك البقعة، إلا إذا كانت عامرة مأهولة تتوفر فيها سُبل المعيشة نسبيًّا، والماء أهمها، ثم قام الكامل محمد بإصلاحها مرة أخرى بعد ذلك حين قام ببناء القبة على قبر الشافعي[٣].

وكان بناء هذه القبة سببًا في زيادة عمران المنطقة المحيطة بالإمام الشافعي فقد

=

ومن المشاهد التي ذكرها أيضًا المشهد الحسيني، وبعض المشاهد التي عند جامع بن طيلون (أحمد بن طولون)، كما ذكر أيضًا المطرية والبستان الذي يستخرج منه دهن البلسان.

الهروي، الإشارات، ورقة ٢٧ وجه وظهر، ص٣٤-٣٥

(١) يذكر المقريزي أن هذه العمارة حدثت بسبب وفاة أم السلطان الكامل محمد، وقيل بسبب وفاة ابنه ودفنه بجوار قبر الشافعي.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٤.

السلوك، جـ١ ق١، ص٢٠٨.

والواقع أن أم الكامل محمد، قد تأكد دفنها بسبب وجود التابوت الخشبي الخاص بها، وعليه زخارف وكتابات تشبه الموجودة على تابوت الشافعي.

(٢) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٦٢، علي مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١، ص٧٤، جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٢٢٥.

(٣) فريد شافعي، العمارة العربية، ص٥٠٩.

قام الناس بنقل الأبنية من «القرافة الكبرى إلى ما حول الشافعي، وأنشئوا هناك الترب فعرفت بالقرافة الصغرى وأخذت عمائرها في الزيادة وتلاشى أمر تلك»[١].

والواقع أن في هذا القول بعض المبالغة؛ حيث إن الكامل محمد لم يكن أول من كرَّم البقعة التي دفن فيها الشافعي، فقد سبق القول أن صلاح الدين شيد بجواره مدرسة وجعل فيها معيدين وطلبة، وأوقف عليها أوقافًا سنية، مما كان له أثره على زيادة العمران في تلك المنطقة على حد قول المقريزي نفسه.

ولعل هذا هو الذي دفع الملك الكامل محمد «إلى الزيادة في المسجد الصغير الذي كان يجاور تربة الشافعي، ونصب به منبرًا وخطب به الجمعة في سنة سبع وستمائة[٢]، أي قبل بناء القبة على القبر بعام واحد فانتقل الناس إلى البناء حول قبر الشافعي، وتزايد عمران هذه المنطقة بدأ منذ عصر صلاح الدين، ومن الطبيعي أن يزداد هذا العمران في عصر الكامل محمد وما تلاه من عصور.

---

(١) المقريزي، الخطط ، جـ٢، ص٤٤٤، أحمد تيمور، قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه، ص٧، أيمن فؤاد سيد، التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن، القاهرة (١٩٩٧م)، ص ٥٦.

(٢) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٢٩٦.

علي مبارك، الخطط التوفيقية، جـ٤، ص١٥١.

ويضيف علي مبارك فيقول إن هذا الجامع خارج الطرقة التي كان يسلك منها إلى قبة الإمام الشافعي، وهي التي كانت مفروشة بالحجارة، وكانت منخفضة عن الطريق ينزل إليها بدرج وتنتهي عند البوابة التي بجوار المدرسة، وبعضها دخل جامع الإمام الجديد من الجانب الذي يلي دار الشيخ علي محسن، كما يذكر أنه متخرب في عهده وليس به سقف ومنارته قائمة واستغنى عنه بالجامع الجديد.

علي مبارك، الخطط التوفيقية، ص١٥١.

ومن أمثلة ذلك ما قام به الأمير أبو منصور إسماعيل بن حصن الدين ثعلب[١] من بناء تربة له في القرافة ذكر ابن الزيات أنها «... في الطريق المسلوك قاصدًا مشهد كلثم تجد على يمينك تربة بها السادة الأشراف أولاد ابن ثعلب»[٢] كما ذكر السخاوي أنها تربة كبيرة بها السادة الأشراف أولاد ثعلب[٣].

ولم يعد باقيًا من هذه التربة سوى مدخل وإيوان[٤] يقعان جنوب قبة الإمام الشافعي بنحو ٢٧٠م، وذلك على يمين السالك في شارع سيدي عقبة قبل الوصول إلى المشاهد الفاطمية (شكل ١٤ مكرر).

وقد اختلف العلماء بشأن هذه البقايا؛ فمنهم من ذكر أنها متخلفة من مدرسة بإيوانين ملحق بها ضريح لهذا الأمير[٥]؛ ومنهم من ذكر أنها لم تكن مدرسة، وإنما

---

(١) هو الأمير الشريف فخر الدين أبو نصر إسماعيل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم الجعفري الزينبي، أمير الحاج والزائرين، وأحد أمراء مصر في الدولة الأيوبية، وقد بنى المدرسة الشريفية بدرب كركامه على رأس حارة الجودرية من القاهرة للفقهاء الشافعية وتمت (٦١٢هـ/ ١٢١٥م) وكانت وفاته في يوم الجمعة مستهل رجب (٦١٣هـ/ ١٢١٦م).

ابن عبد الظاهر، الروضة، ص٩١-٩٢.

المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٣٧٣.

(٢) ابن الزيات، الكواكب، ض٢١٧.

(٣) السخاوي، تحفة الأحباب، ص٣٢٦.

(٤) حسن عبد الوهاب، العمارة الإسلامية، العصر الأيوبي، مجلة العمارة، العدد ٧-٨ مج٢، ١٩٤٠م، ص٤٠٠، عبد الناصر ياسين، الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، الإسكندرية ٢٠٠٢م، ص ٢٤٠-٢٤٢.

(5) Creswell (K.A.C): The Muslim Architecture of Egypt Volume 2 (oxford 1959) p.79.fig.36

=

كان ضريحًا دفن فيه هذا الأمير، وأن تابوته وضع وسط الإيوان الذي زود بمحراب على غرار المشاهد الفاطمية يحدد به اتجاه القبلة للمصلين من المترحمين على صاحب الضريح[١].

أما عثمان فقد أفرد لهذه التربة دراسة مستقلة[٢]، وفي البداية أيد رأي فكري وأورد بعض الأدلة التاريخية والآثارية التي تؤكد أن هذه التربة لم تكن مدرسة تضم إيوانين وصحن مكشوف بينهما، وضريح في الجهة الشمالية، كما ذكر كريزول ومَن نهج نهجه ، وهذه الأدلة هي:

١ - ما أشار إليه المقريزي من أن ابن ثعلب قد وقف كل ما يملك على مدرسته المعروفة بالمدرسة الشريفية بالجودرية بالقاهرة التي تم وقفها سنة (٦١٢هـ/ ١٢١٥م)؛ وهذا يعني أن فكرة إنشاء مدرسة أخرى بالقرافة سنة (٦١٣هـ/ ١٢١٦م) لم يكن بالإمكان، لأن إنشاء مثل هذه المدرسة يتطلب موارد

=

سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، جـ٢، ص١٩٤، ١٩٦، حسني نويصر، العمارة الإسلامية في مصر، ص٦٣-٦٤، آمال العمري وعلى الطايش، العمارة في مصر الإسلامية (العصرين الفاطمي والأيوبي)، القاهرة (١٩٩٦م)، ص ١١٤-١١٧.

(١) أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، جـ٢، العصر الأيوبي، ص٣٧، ومما له دلالته في هذا الصدد أن فكري رغم أنه استبعد أن يكون الإيوان جزءًا من المدرسة الشريفية التي افترض كريزول أن ابن ثعلب قد بناها بجوار ضريحه؛ إلا أنه لم ينكر وجود المدرسة أو بنائها بدليل قوله: أما المدرسة فقد اندثرت معالمها.
أحمد فكري، مساجد القاهرة، جـ٢، ص٣٧.

(٢) محمد عبد الستار عثمان، التربة الإيوان من أنماط المباني فوق القبور في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، العصور، مج٧، جـ٢، الرياض، لندن، دار المريخ، محرم ١٤١٣هـ/ يوليو ١٩٩٢م، ص٢٧١-٣٠٥.

مالية لإنشائها، كما أنها تتطلب أوقافًا توقف عليها لتدر ريعًا يصرف منه على أرباب الوظائف بها والمحافظة عليها للاستمرار في أداء وظيفتها، كما أن المدة المحصورة بين تاريخ هذا الوقف وتاريخ وفاة ابن ثعلب في رجب (٦١٣هـ/ ١٢١٦م) لم تكن تمكن من توفير هذه المتطلبات المادية الكبيرة التي يحتاجها إنشاء ووقف مدرسة[١].

ويمكن الرد على هذه النقطة بالرجوع إلى نص المقريزي ومطابقته بالنص الأصلي عند ابن عبد الظاهر – وهو النص الذي نقله عنه المقريزي- والصيغة الأصلية لهذا النص على النحو التالي «... وخرج عن جميع [عند المقريزي: كل] ما يملكه، وكان من جملة ذلك الدار التي في الجودرية وقفها مدرسة [عند المقريزي: وكان من جملة ذلك المدرسة الشريفية لأنها كانت مسكنه] ووقف عليها جميع أملاكه [لم ترد كلمة جميع عند المقريزي] وكذلك فعل في غيرها...»[٢].

ويستدل من هذا النص الأصلي أن جميع أملاك ابن ثعلب لم توقف على داره أو مسكنه التي وقفها مدرسة فحسب، وإنما امتد هذا الوقف فشمل أيضًا غيرها من المنشآت؛ وهو الأمر الذي يدل على أن ما ذكره عثمان يعد تحميلًا للنص فوق ما يحتمل، وبالتالي فهو استنتاج في غير محله لضعف حجته في ذلك.

أما إذا كنا سلمنا بصحة هذا الاستنتاج بأنه لم يكن بمقدور ابن ثعلب أن ينشئ مدرسة أخرى له بالقرافة لعدم توفر الإمكانيات اللازمة لذلك – بعد أن وقف جميع أملاكه على مدرسته بالقاهرة – فأين إذن كان يسكن ويقيم ابن ثعلب – بعد أن وقف داره مدرسة، وأوقف عليها جميع أملاكه – في الفترة بين تاريخ هذا الوقف (٦١٢هـ/ ١٢١٥م). وبين تاريخ وفاته في رجب (٦١٣هـ/ ١٢١٦م)؟؟؟

---

(١) محمد عبد الستار عثمان، التربة الأيوان، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٢) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص٩٢؛ المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٣٧٤.

ونضيف على ذلك فنقول: إنه قد فات على عثمان شرطًا مهمًّا يتعلق برغبة الواقف في وقفه، وفحوى هذا الشرط أن الواقف إذا وقف مكانًا ما – دار أو مدرسة أو خانقاه أو رباط أو زاوية أو غير ذلك – مسجدًا أو جامعًا وأذن للناس في الدخول إليه والصلاة فيه يصير حقه فيه كحق أي واحد من المسلمين، إما إذا وقف هذا المكان مدرسة فإن ذلك كان يسمح له بأن يشترط أي شروط كأن يغلق باب المدرسة ولا يفتحه إلا في وقت معلوم أو إبطال الدرس أو غير ذلك.

ويعلق السبكي على ذلك فيقول: وفي صحة من شرط هذا الشرط نظر واحتمال، أما إذا شرطه في مسجد أو جامع فواضح أنه لا يصح[١].

ولعل خير ما يؤكد ذلك قصة مدرسة السويدي بمصر القديمة وهي القصة المبسوطة في بعض المصادر المعاصرة وتعرضنا لها في دراسة سابقة[٢].

٢- خلو المصادر التاريخية من الإشارة إلى أن ابن ثعلب قد أنشأ مدرسة بالقرافة بل ولم ترد أية إشارة حول ممارسة أي نشاط تدريسي بتربة ابن ثعلب، كما أنه من الناحية الوظيفية لم تكن هنا حاجة لإنشاء مدرسة في هذا الموضع من القرافة بعد أن أنشأ صلاح الدين مدرسته بجوار الشافعي على بعد خطوات قليلة من التربة[٣].

---

(١) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، معيد النعم ومبيد النقم، بيروت، ١٩٨٦م،ص ١١٠.

(٢) محمد حمزة الحداد، العلاقة بين النقش التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري لمدارس القاهرة في العصر المملوكي، ضمن كتابنا بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، (الكتاب الأول)، القاهرة ١٩٩٦م، ص٢٣٦-٢٣٧، ط٢، القاهرة (٢٠٠٤م)، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٣) إذا كان هذا القول قد يصدق على العصر الأيوبي، فإنه ليس كذلك في العصر المملوكي حيث أنشئت بالقرب من قبة الشافعي والمدرسة الصلاحية أو الناصرية المنشآت الدينية والتعليمية المتنوعة.

٣- أثبتت المجسات التي قامت بها مصلحة الآثار المصرية، عدم وجود أي أثر لأساسات جدران الوحدات المعمارية التي افترض كريزول وجودها مثل الإيوان الشمالي المقابل للإيوان الحالي والضريح المجاور له[١].

وفي النهاية خلص عثمان من دراسته إلى القول بأن تربة ابن ثعلب التي أنشأها لنفسه كما ورد في نص الإنشاء تتمثل في الإيوان وحوش يقع إلى الشمال منه، ويفتح عليه هذا الإيوان وبالتالي فهو -أي الحوش- يعد الامتداد الطبيعي لتربة الثعالبة، والتي دفن بها مَن دُفِن من ذرية ثعلب (شكل ١٤ مكرر).

ويتوافق ذلك تمامًا مع ما ورد في كتب المزارات عن هذه التربة بأنها تربة أولاد ابن ثعلب، كما يتفق مع وصف السخاوي لها بأنها تربة كبيرة، ويضيف قائلاً: ويتوافق هذا التخطيط المعماري لتربة أولاد ثعلب التي تضم الإيوان والحوش شمالها مع وضع المدخل الذي يبعد عن الإيوان مسافة قدرها ٢٠م حيث إن هذه المسافة تمثل طول الحوش من الشمال إلى الجنوب... [٢].

وعلى ضوء هذا الرأي وتلك النتيجة، اعتبر عثمان تربة الثعالبة النموذج الأول لنمط التربة الإيوان، وأشار إلى أن ظهور هذا النمط لأول مرة في مصر خلال العصر الأيوبي، ما هو إلا حلقة من حلقات التطور الذي طرأ على نمط التربة المعقودة قبوًا، وهو النمط الذي وجد بالقرافة منذ العصر الفاطمي على أقل تقدير، وهكذا أفرز النمط الفاطمي بعد تطوره هذا النمط الإيواني الذي ظهر في العصر الأيوبي أو كان مقدمة له على حد قوله[٣].

---

(١) محمد عبد الستار عثمان، التربة الإيوان، ص٢٨٧.

(٢) محمد عبد الستار، التربة الإيوان، ص٢٨٨.

(٣) محمد عبد الستار، التربة الإيوان، ص٢٨١، ٢٨٨، ٢٩٢.

ويضيف عثمان قائلًا: إنه يمكن اعتبار تربة السنجان التي اكتشف بقاياها وأرخها تأريخًا تقريبيًّا بالنصف الثاني من القرن ٧هـ/ ١٣م نموذجًا آخر للتربة الإيوان وقربها من إيوان الثعالبة وبناءها على هيئة مماثلة في الغالب يرجح تأثر بنائها بتربة الثعالبة التي يسبق إنشاؤها هذه التربة -أي السنجان- بعقود قليلة؛ وهكذا يتأكد بهذا المثال الثاني وظيفة المثال الأول، ويؤكد كل منهما وجود نمط التربة الإيوان في عمارة المدافن بمصر...[1].

وهكذا يعود عثمان مرة أخرى ليحمل النص فوق ما يحتمل حتى يصل إلى تأكيد الرأي الذي يريد أن يخلص إليه -ولو على حساب النص- فإن تربة داعي الدعاة التي أشار إلى أنها تنتمي إلى نمط التربة المعقودة قبوًا كانت تنتمي إلى نمط آخر، وهو المعروف بنمط التربة المفتوحة open turbe وهو الأمر الذي ناقشناه وأبرزناه في دراسة سابقة[2].

ولما كان الفرق كبيرًا وواضحًا بين كلا النمطين – أي التربة المفتوحة والتربة الإيوان – فإن ذلك يدل على أن الرأي الذي خلص إليه عثمان ضعيف الحجة، ولا أساس له من الصحة؛ لأنه بني على استنتاج خاطئ.

كذلك فإن ما أشار إليه عثمان من أن التخطيط المعماري لتربة الثعالبة المتمثل في الإيوان والحوش والمدخل في موضعة الحالي؛ إنما يتوافق مع ما ورد في كتب المزارات من أن هذه التربة لأولاد ابن ثعلب، كما يتفق مع وصف السخاوي لها بأنها تربة

---

(١) محمد عبد الستار عثمان، التربة الإيوان، ص٢٩١-٢٩٢.

(٢) محمد حمزة إسماعيل الحداد، العمائر الجنائزية في مصر خلال العصر العثماني، مجلة جامعة الملك سعود، مج١٢، الآداب (١)، الرياض – جامعة الملك سعود (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص٢٤٦-٢٥٣ (أشكال ١٩-٣٠، لوحات ٣٤-٤٤).

كبيرة -كما سبق القول- لا يقوم على أساس علمي سليم؛ فكيف يمكن للمرء أن يتصور مثل هذا الاستنتاج الخاطئ الذي لا يستقيم مع قواعد المنهج العلمي من استقراء واستدلال واستنباط وغير ذلك، فلو كان وصف التربة بالكبيرة، يشير إلى نمط التربة الإيوان؛ فإن ذلك يعني أن القرافة كانت تحوي عشرات الترب التي تنتمي إلى هذا النمط، ويكفي مراجعة ما ورد من أوصاف لترب القرافة في كتب المزارات؛ فإننا سنجد العديد من الترب التي وصفت بالكبيرة[١]؛ فضلًا عن بعض المشاهد التي وصفت بالكبيرة أيضًا ومنها مشهد يحيى الشبيه[٢]، وهو لا يزال باقيًا ولا ينتمي إلى التخطيط الإيواني (شكل ١٣ مكرر)، وهو الأمر الذي يدفعنا إلى تساؤل مهم حول النمط المعماري الذي يمكن أن يستنتجه عثمان من تلك الأوصاف التي وصفت بها بعض الترب الأخرى بالقرافة ومنها التربة الصغيرة والتربة الواسعة والتربة العظيمة[٣]...؟؟

ونضيف على ذلك فنقول :إنه لو كانت لمثل هذه الأوصاف – وتلك التي على شاكلتها- دلالة معمارية معينة أو خاصة، يمكن أن تشير إليها – مثل الطراز المعماري أو على الأقل النمط الذي تنتمي إليه - لوجدنا إجماعًا لدى المؤرخين على وصف منشأة ما أو تربة ما أو مشهد ما بنفس الوصف أو الصفة، وهو ما لم يحدث، فكل مؤرخ عبر عن التربة التي رآها تعبيرًا خاصًا به، وحسبنا أن نستشهد، للدلالة على ذلك بتربة الثعالبة نفسها؛ فإن تخطيطها، المعماري كان ظاهرًا للعيان، ومع ذلك

---

(١) ابن عثمان، مرشد الزوار، ص٢٣٣، ٢٧٠، ٣٣٩-٣٤٠.
ابن الزيات الكواكب السيارة، ص
السخاوي، تحفة الأحباب ، ص

(٢) ابن عثمان، مرشد الزوار، ص٤١٨، ٤١٩.

(٣) ابن عثمان، مرشد الزوار، ص٣٢٦، ٥٧٢، ٦٤٩.

لم يشر إليه أحد من مؤرخي المزارات، فابن الزيات اكتفى بقوله :إنها تربة بها السادة الأشراف[١]، بينما ذكر السخاوي أنها تربة كبيرة بها السادة الأشراف[٢]؛ أما السكري فقد ذكر أنها مقام الأمير حصن الدين ثعلب وولده، وعنده بالحوش الملاصق لمقامه جملة من الأولياء[٣].

هذا ولم تكن مثل هذه الأوصاف قاصرة على الترب والمشاهد فحسب، بل وصفت بها أيضًا القبور والأحواش والقباب بالقرافة؛ ويكفي مراجعة أي كتاب من كتب المزارات المعروفة والمنشورة للتأكد من ذلك.

مما تقدم يمكن القول بأن هذه الأوصاف لا توحي بأية دلالات معمارية معينة أو خاصة؛ وكل ما يمكن أن يستدل منها هو الإشارة إلى مساحة التربة أو المشهد فحسب، فالتربة الكبيرة أو الواسعة هي التي تحوي أكثر من قبر، سواء ما كان منها قد تم تجهيزه أثناء عملية البناء الأولى، أو في مراحل تالية، وحسبنا للدلالة على ذلك استقراء ما ورد في كتب المزارات فالترب التي تحوي قبرًا واحدًا لم توصف بالكبيرة؛ ولذلك كان المؤرخ يذكر :وبهذه التربة قبر..، أو :تربة بها قبر..[٤] وأحيانًا يكون هذا

---

(١) ابن الزيات، الكواكب السيارة، ص٢١٧.

(٢) السخاوي، تحفة الأحباب، ص٣٢٦.

(٣) السكري، علي بن جوهر، الكوكب السيار إلى قبور الأبرار، تحقيق محمد عبد الستار عثمان، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية (١٩٩٥م)، (هذا ولنا على تحقيق هذا الكتاب دراسة نقدية مطولة سوف تنشر في القريب العاجل بمشيئة الله تعالى).

(٤) ابن الزيات، الكواكب، ص
ابن عثمان، مرشد، ٣٩٠، ٥٤٤، ٥٤٥ .
السخاوي، تحفة الأحباب، ص

القبر كبيرًا بحيث يسع جماعة[١]، أو يصف هذه التربة بأنها صغيرة، ومن أمثلة ذلك تربة أحمد بن طولون –وهي دارسة– ووصفها ابن عثمان بقوله:... تربة صغيرة بين الجدران بها قبر أبو العباس أحمد بن طولون...[٢].

أما الترب التي وصفت بالكبيرة أو الواسعة، فكانت تحوي أكثر من قبر ومنها على سبيل المثال، تربة سهل بن أحمد البرمكي، وبها قبره، وقبر خلف الكتّاني إلى جانبه[٣]، وتربة المؤرخ المصري القضاعي، وبها قبره على ظاهر الخندق، وإلى جنبه قبر ولده[٤]، وتربة فيها قبور سماسرة الخير[٥]، وتربة فيها قبور بني غلبون وهي أربعة قبور متلاصقة... وأختهم العروسة في قبر آخر رخام...[٦].

وينطبق نفس المعنى على الأحواش والحومات ويكفي مراجعة أي كتاب من كتب المزارات المعروفة والمنشورة للتأكد من ذلك[٧].

---

(١) ابن عثمان،مرشد، ص٢٩٣ .

(٢) ابن عثمان، مرشد، ص٦٤٩.

(٣) ابن عثمان، مرشد، ص٢٣٣-٢٣٤.
ابن الزيات، الكواكب، ص
السخاوي، تحفة.

(٤) ابن عثمان، مرشد ، ص٣٣٩-٣٤٠.
ابن الزيات، الكواكب، ص.
السخاوي، تحفة.

(٥) ابن عثمان، مرشد، ص٢٨١، ٣٩٣.
ابن الزيات، الكواكب، ص
السخاوي، تحفة.

(٦) ابن عثمان، مرشد، ص٢٩٤.

(٧) ابن عثمان، مرشد، ص٢١٢ ، ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٦٤-٤٦٥، ٤٦٨، ٥٣٥، ٥٦٦،

=

ومن المشاهد التي وصفت بأنها مشاهد كبيرة مشهد يحيى الشبيه[١]، وهو لا يزال باقيًا، وتحوي أرضية مربعه الأوسط ستة قبور على هيئة المصاطب (شكل ١٣).

كذلك كان مشهد آل طباطبا (شكل ١٢) يحوي قبورًا عديدة سواء للمقبورين فيه من بني طباطبا- ذكورًا كانوا أم إناثًا- أو المقبورين من الصالحين من غير بني طباطبا، وقد أوردت كتب المزارات أسماء هؤلاء وأولئك، فضلًا عن اسم المؤرخ المصري ابن زولاق (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) الذي قُبِر بهذا المشهد أيضًا[٢]. (شكل ١٢).

وإذا كان وصف الترب والمشاهد بأنها كبيرة يدل على مساحتها الكبيرة فحسب فإن وصف هذه وتلك بأنها عظيمة يدل إما على مساحتها حينا فحسب أو على طابعها المعماري أو الزخرفي المميز حينًا آخر فحسب، أو يدل على الأمرين معًا.

وحسبنا أن نستشهد للدلالة على ذلك بتربة الإمام الشافعي ومشهده وقبته فقد وصف المشهد بأنه من المشاهد العظيمة احتفالاً واتساعًا، كما وصفت قبته بأنها عظيمة، وفي وصف آخر بأنها عجيبة وهي معدودة في المباني المتقنة مفرطة الارتفاع والاتساع غريبة في الإحكام والإبداع، وقيل: إنها تخلب عقل الناظر إليها لحسنها وجمالها، وقيل أيضًا: إنها فائقة الحسن، فائقة الصنعة، نادرة الاختراع، وقيل أيضًا: إنها البديعة الإتقان، العجيبة البنيان، المتناهية الإحكام، المفرطة السمو

=

ابن الزيات، الكواكب، ص

السخاوي، تحفة.

(١) ابن عثمان، مرشد، ص٤١٨-٤١٩.

(٢) ابن عثمان، مرشد، ص٢٣٥-٢٥٩؛ ابن الناسخ، مصباح الدياجي، ورقة ٧٧-٨١؛ ابن الزيات، الكواكب، ص٥٩-٦٣؛ السخاوي، تحفة الأحباب، ص

وسعتها...[١].

ومن الطريف أن القرافة نفسها قد وصفت بأنها تربة كبرى أو كبيرة، وفي وصف آخر تربة عظمى أو عظيمة[٢]، ومن الواضح أن هذا الوصف إنما يشير إلى المساحة الضخمة والامتداد الهائل الذي كانت عليه القرافة وهو الأمر الذي فصلناه وأبرزناه في الفصلين الأول والثاني من هذا الكتاب – وليس كما استنتج عثمان من وصف السخاوي لتربة الثعالبة بأنها كبيرة، ولو كان هذا الاستنتاج منطقيًا وصحيحًا لكانت القرافة تبدو كغابة من الإيوانات، وفي هذه الحالة فقط كان يصدق عليها وصف ابن جبير لها بأنها إحدى عجائب الدنيا كما سبق القول.

هذا ولم يقف عثمان عند هذا الحد، بل نحا منحى آخر – حتى يؤكد الرأي الذي خلص إليه – يتمثل في توظيف دلالة مفهوم مصطلح التربة الوارد في نص التأسيس والذي أشار صراحة إلى أن هذه المنشأة تربة للدفن فقط – كما أن المصادر لم تشر إلى أنها كانت موضعًا لأي نشاط تعليمي كالذي يمارس في المدارس في تلك الفترة – وقام بالربط بين مقاسات التابوت الخشبي وبين مساحة الإيوان، وخلص إلى أن هناك علاقة بين هذه وتلك، وهي العلاقة التي سمحت بوضع التابوت في هيئة موازية لجدار القبلة، مع توافر مساحة كافية لمرور الزوار من الجانبين؛ الشرقي والغربي، بالإضافة إلى توافر مساحة كافية بين المحراب والتابوت تُمكِّن عددًا لا بأس به من الصلاة في هذا الموضع دون استقبال القبر، وتمكنهم أيضًا من الدعاء

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ، ابن سعيد، المغرب، ص١٠؛ العبدري، رحلة العبدري، ص٣٢٧؛ التجيبي، مستفاد الرحلة، ص١٠-١١؛ البلوي، تاج المفرق، ص٢٢٤-٢٢٥، ابن بطوطة الرحلة، ص٢٠٦، المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٤٤.

(٢) العمري، مسالك الأبصار، ص٢٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٣، ص٣٧٨.

للمقبور وهم في هذا الموضع المستحب عند الدعاء وزيارة المقبور[١].

ويضيف عثمان قائلاً: ويمكن تصور ذلك في ضوء وجود محراب بالجدار الجنوبي للإيوان يحدد اتجاه القبلة، وفي ضوء اقتصار استخدام هذا الإيوان في الدفن على صاحب التربة الذي ذكر صراحة في نص الإنشاء: أنشأ هذه التربة لنفسه[٢].

كما أُلحِق بإيوان الثعالبة حجرتان جانبيتان، ونظرًا لعدم وجود مثل هذه الحجرات في أواوين المدارس المعاصرة، فإنه يمكن تفسير الغرض من إنشائهما على أنهما كانتا تستعملان بواسطة الزائرين وبما جرت به العادة في منشآت القرافة من مد السماط وإقامة الاحتفالات وقراءة القرآن وغير ذلك منذ عهد مبكر يرجع على الأقل إلى العصر الطولوني[٣].

ويمكن الرد على هذه النقطة أيضًا من بضعة وجوه:

الوجه الأول: لا يوجد دليل مادي آثاري أو تاريخي يثبت أن التابوت الخشبي كان موضوعًا في وسط الإيوان، وبالتالي فإن الربط بين مقاسات التابوت وبين مساحة الإيوان لا ينهض دليلًا على أنه توجد علاقة بين الاثنين، أو بمعنى آخر على أن التابوت كان يتوسط الإيوان في هيئة موازية لجدار القبلة، لا سيما أن مقاسات التابوت تسمح أيضًا بوضعه وسط قبة بحوش التربة كما سنشير فيما بعد.

الوجه الثاني: إن وجود المقبرة التي تتوسط الإيوان لا ينهض دليلًا هو الآخر على أنها قد حلت محل التركيبة الخشبية وبالتالي كان الإيوان هو نفسه التربة كما يرى

(١) محمد عبد الستار عثمان، التربة الإيوان، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٢) محمد عبد الستار عثمان، التربة الإيوان، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٣) محمد عبد الستار عثمان، التربة الإيوان، ص٢٨٨.

عثمان، أو الضريح أو المشهد كما يرى فكري، لأنه لا يُعرَف -حتى الآن- دليل مادي آثاري أو تاريخي يثبت استخدام الإيوانات في الدفن أو كتربٍ خلال العصر الأيوبي -أو ما قبله- سواء في مصر أو الشام[١].

الوجه الثالث: هناك بعض القرائن والأدلة الآثارية والتاريخية التي تؤكد أن العكس كان هو الصحيح، أو بمعنى آخر أن التربة والمقابر هي التي أقحمت على الإيوانات في بعض العمائر الدينية ولا سيما خلال العصر العثماني[٢]، ومن ثم فإنه من المرجَّح أن المقبرة التي تتوسط الإيوان بتربة الثعالبة، والمقبرة الأخرى التي بجوار المحراب، قد استحدثتا في العصر العثماني وعهد أسرة محمد علي، وبصفة خاصة، خلال القرنين ١٢-١٣هـ/ ١٨-١٩م حيث تعرضت الكثير من منشآت القرافة للإهمال والتخريب تارة، والإحلال والتغيير تارة أخرى.

وليس أدل على ذلك من تربة الثعالبة نفسها التي لم يبقَ منها سوى المدخل والإيوان، وأجزاء من التابوت الخشبي لضريح الأمير فخر الدين ثعلب موزعة بين

---

(١) سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ٢، ص١٩٦؛

Creswell, The Muslim, vol. 2 p. 97.

(٢) ومن أمثلة ذلك رباط أزدمر الصالحي (شكل١٥) الذي استخدم إيوانه للدفن؛ ومن ثم اشتهر باسم مدفن مصطفى باشا، والمدرسة الباسطية بالخرنفش إذ يذكر المحبي أنه عندما توفي الشيخ أحمد شهاب الدين السبكي سنة (١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م) دفن بفسقية أحدثها لنفسه، بجوار الإيوان الغربي الصغير من المدرسة المذكورة ،وأن قبره ظل ظاهرًا يزار - وهو لا يزال باقيًا- وفي سنة (١٢٩٠هـ١٨٧٣م) نقلت رفاة الأمير يوسف الحسين إلى قبر أعد خصيصًا في السدله الشمالية الشرقية لجامعه الكائن بميدان باب الخلق.
المحبي، خلاصة الأثر، جـ١، ص ١٨٥-١٨٦؛ سعاد ماهر، مساجد، جـ٣ ،ص ، الحداد موسوعة، مج٢، جـ١ (القسم الأول)، ص١٨٨، ٢٠٣-٢٠٤؛

Creswell, The Muslim, vol. 2.p.

متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ومتحف فكتوريا وألبرت بلندن[١]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما نزع النقش الإنشائي للتربة من موضعه في أعلى صدر المدخل، وثبت على واجهة المقبرة التي تتوسط الإيوان، ولحسن الحظ بقي في هذا الموضع الجديد، إلى أن قامت لجنة حفظ الآثار العربية مشكورة بإعادته إلى موضعه الأصلي كما كان[٢].

وبالإضافة إلى المقبرة التي تتوسط الإيوان أقحمت مقبرة أخرى بجوار المحراب، وهذه المقبرة الثانية تحمل تاريخ (١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م).

الوجه الربع: هناك قرينة تاريخية تهدم هذا الرأي من أساسه؛ لأنها تنفي استخدام الإيوان، كموضع لدفن ابن ثعلب من جهة وتثبت من جهة أخرى أن ضريح ابن ثعلب كان يقع في الجانب الشمالي من حوش أو فناء التربة وتتمثل هذه القرينة في بعض الإشارات المبسوطة في كتب المزارات والتي يمكن منها الاستدلال عن الموضع الذي كان يشغله ضريح ابن ثعلب.

ومن هذه الإشارات ما ذكره السكري بقوله: ثم تمشي قليلًا بعض خطوات تجد على يمينك -أي على يمين الذاهب في الطريق المسلوك وهو المسمى شارع

---

(١) زكي محمد حسن، أطلس الفنون الزخرفية، (شكل ٣٧٤) ،محمد عبد العزيز مرزوق، الفن الإسلامي في العصر الأيوبي، المكتبة الثقافية، القاهرة ١٩٦٣م، ص٢٥
عبد العزيز صلاح سالم، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، جـ٢، القاهرة (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص٥٦-٥٧.

(٢) أحمد فكري، مساجد، جـ٢ ص٣٦ حاشية ٢، حسني نويصر، العمارة، ص٦٣؛ محمد عبد الستار عثمان، التربة، ص٢٨١، ٢٨٤-٢٨٥.

Creswell, the Muslim, vol . 2. p. 77-78.

سيدي عقبة الآن –مقامًا[١]– أي ضريح– الأمير حصن الدين ثعلب وولده، وعنده بالحوش الملاصق لمقامه جملة من الأولياء..[٢].

ولما كان هذا الحوش المقبور به بعض الأشراف والأولياء يوجد في الجهة الشمالية من تربة الثعالبة، كما يستدل من الإشارات التي أوردها –قبل السكري– كلٌّ من ابن الزيات والسخاوي[٣] من جهة.

ولما كان هذا الحوش ملاصقًا لمقام أو ضريح ابن ثعلب، كما ذكر السكري، من جهة ثانية، فإن ذلك يثبت بما لا يدع مجالًا للشك، أن ضريح أو مقام ابن ثعلب كان يقع في الجانب الشمالي من حوش تربته– وذلك تجاه الإيوان الحالي – وبالتالي فإنه كان يتوصل إليه، بل وإلى الإيوان نفسه، من الباب الكائن بالحائط الجنوبي –مسدود حاليًا– للدهليز المتفرع من المدخل الرئيس الحالي وليس من الباب المقابل له –أي الباب الكائن بالحائط الشمالي للدهليز نفسه – كما افترض كريزول[٤].

---

(١) المقام: من المصطلحات التي استخدمت كمرادف للضريح أو المدفن أو القبة، ولا سيما خلال العصر العثماني في مصر، وقد وردت بنفس الدلالة والمعنى في مصادر ووثائق ذلك العصر؛ فضلاً عن النقوش الكتابية التي لا تزال باقية.
انظر على سبيل المثال: ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص١٦٤، ٣٠٩، الحداد، موسوعة، مج٢، جـ١، (القسم الأول)، ص٢٦٤، ٣٨٦؛ حجة وقف محمد باشا السلحدار (أوقاف رقم ٩٣١) ص ٢٨-٢٩، (أوقاف رقم ٩٣٢) ص٥٠.
وعن أصل هذا المصطلح واشتقاقه وتطوره انظر، محمد حمزة الحداد، الجامع للمصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية على حروف المعجم، المجلد الثالث، مادة المقام، القاهرة (قيد النشر).

(٢) السكري، الكوكب السيار، ص

(٣) ابن الزيات، الكواكب السيارة، ص٢١٧؛ السخاوي، تحفة الأحباب، ص٣٠٣-٣٠٤.

(٤) سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ٢، ص١٩٦.

Creswell, the Muslim. vol. 2, p. 79.

وبعد فإنه يمكن من خلال دراسة وتحليل النقوش الكتابية الباقية وربطها بالبقايا المعمارية المتمثلة في المدخل والإيوان –فضلًا عن أجزاء التابوت الخشبي للضريح– من جهة، وما ورد بكتب المزارات من جهة ثانية أن نحدد ماهية هذه التربة وأهمية تخطيطها المعماري.

ويمكن القول، بادئ ذي بدء، أنه لم يتبقَ من النقوش الكتابية سوى ثلاثة نقوش وهي :

١- نقش الضريح الذي يحمل تاريخ وفاة ابن ثعلب في مستهل رجب (٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، ومما يؤسف له أن أجزاء التابوت الخشبي –أو التركيبة الخشبية– لهذا الضريح موزعة بين متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ومتحف فكتوريا وألبرت بلندن، ويتضمن هذا النقش الصيغة التالية :هذا ضريح السيد الإمام الشريف الأمير الأجل الصدر...الأمير الكبير حصن الدين ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن يعقوب بن أبي جميل الجعفري الزينبي توفي يوم الجمعة مستهل رجب الفرد من شهور سنة ثلث عشرة وستمائة تغمده الله برضوانه وأسكنه فسيح .....[١]

٢- النقش الإنشائي الذي أعيد إلى موضعه الأصلي بأعلى صدر المدخل الرئيس للتربة كما سبق القول، ويحمل هذا النقش تاريخ الفراغ من التربة في رجب (٦١٣هـ/ ١٢١٦م).

---

(١) عن الصيغة الكاملة المنشورة لهذا النقش انظر:

Combe, Repertoire, T.XV, P. 130 –131.

عثمان، التربة الإيوان، ص ٢٨٢. .

وهو يتضمن الصيغة التالية، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾ [الفرقان: ١٠]، أمر بإنشاء هذه التربة المباركة لنفسه الشريف السيد الأمير ..... حصن الدين ثعلب.... وكان الفراغ منها في رجب سنة ثلث عشرة وستمائة رحمه الله[١].

٣- نقش قرآني يتضمن الآية الكريمة التالية بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وهذا النقش محفور على عضادتي المدخل الرئيس للتربة.

ويثير ورود كل من مصطلحي الضريح والتربة في النقشين الأول والثاني على التوالي بضعة تساؤلات مهمة تدور كلها حول دلالة كل منهما؛ ولماذا جمع بينهما في منشأة واحدة.

وبالتالي هل هذا يعني أنه يرادف كل منهما الآخر؟ وإذا كان ذلك صحيحًا فلماذا لم يقتصر النقشان على أحدهما؟ ما دامت الدلالة واحدة والمعنى واحد ويؤدي نفس الغرض؛ أم أن لكل مصطلح منهما في هذه الحالة دلالة مختلفة عن الآخر.

وقد أفردنا لمناقشة هذا الموضوع، وغيره من الموضوعات المتعلقة بالمصطلحات

---

(١) عن الصيغة الكاملة المنشورة لهذا النقش انظر:

عبد الناصر ياسين، الفنون، ص ٢٤١؛

Combe, repertoire, T.X.V.P. 131-132. Berchem, Materiaux pour un corpus, premiere partie, paris, (1903), p.95.

ومما هو جدير بالذكر أن الآية القرآنية الكريمة لم تنشر في فان برشم، كما أنها نشرت في بحث عثمان خطأ «بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي إن شاء جعل لك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورًا». عثمان، التربة الإيوان، ص٢٨١.

الفنية للعمارة الإسلامية دراسة تحليلية مطولة، ومن ثم فلا حاجة بنا لتكرار القول حول ذلك الموضوع[١].

غير أن ما يعنينا -في هذا المقام- هو أنه قد ثبت لنا أنه في حال ورود كل من المصطلحين -أو الجمع بينهما- في منشأة واحدة- أو في وحدة معمارية معينة كالقبة الجنائزية- فإن ذلك يعني أن لكل منهما دلالة مختلفة عن الآخر، وهو ما تؤكده الأدلة المادية الباقية المتمثلة في النقوش الآثارية، وحسبنا أن نستشهد هنا بالنقوش الكتابية الأيوبية سواء السابقة على نقوش تربة الثعالبة أو اللاحقة لها؛ مع ربطها بما ورد في المصادر التاريخية وبصفة خاصة كتب الرحالة والمزارات والخطط.

ومن أهم الأمثلة الباقية تربة الإمام الشافعي وضريحه (شكل ١٦)، فقبل عمارة الكامل محمد للقبة سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م)، كان يقصد بتربة الشافعي تلك الساحة أو المساحة التي تضم قبر الشافعي والقبور المجاورة له.

بينما يقصد بضريح الشافعي موضع دفنه أو قبره تحديدًا، وما يعلوه من تابوت خشبي، أمر بصناعته السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٤هـ/ ١١٧٧م)وهو ما يؤكده النقش الكتابي وصيغته: عمل هذا الضريح المبارك للإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن إدريس... صنعت عبيد النجار المعروف بابن معالي.

ويدل ذلك على أن مصطلح التربة يشير إلى دلالة أعم وأشمل، بينما يشير مصطلح الضريح إلى دلالة معينة أو خاصة، وضمن نطاق هذه الدلالة العامة أو الشاملة.

---

(١) محمد حمزة الحداد، الجامع للمصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، على حروف المعجم (قيد النشر).

أما بعد عمارة الكامل محمد للقبة سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م)، حل مصطلح القبة محل مصطلح التربة في الإشارة إلى تلك الدلالة العامة أو الشاملة؛ وهي تلك المساحة المربعة التي تعلوها هذه القبة الشهيرة بما تحويه من ضريح الشافعي والأضرحة الأخرى المجاورة له. (شكل١٦).

وهكذا أصبح مصطلح القبة مرادفًا لمصطلح التربة في المصادر التاريخية وبصفة خاصة كتب المزارات والخطط والرحلات، فإذا ورد في مصدر ما قبة الشافعي، وفي الآخر تربة الشافعي؛ فإن ذلك يشير إلى الدلالة العامة أو الشاملة، بل إنه في بعض المصادر أضيف مرادف آخر –وهو مشهد الشافعي– يشير إلى نفس الدلالة، بينما ظل مصطلح الضريح محتفظًا بنفس دلالته المعينة أو الخاصة ضمن نطاق هذه الدلالة العامة أو الشاملة.

ومما يعزز ذلك ويعضده تلك النقوش الكتابية الأيوبية اللاحقة لتربة الثعالبة ومنها نقوش كل من قبة الصالح نجم الدين أيوب، وقبة شجر الدر[1].

وفي قبة الصالح نجم الدين أيوب نقشًا بصيغة: هذه القبة تربة... السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، ويدل هذا لنقش على أن القبة مرادف للتربة – والعكس صحيح بطبيعة الحال– كما سبق القول، وهو ما يؤكده أيضًا ما ورد في نقش قبة شجر الدر بصيغة: تربة.... الستر الرفيع والحجاب المنيع عصمة الدنيا والدين والدة الملك المنصور خليل.

أما الضريح فقد ظل محتفظًا بنفس دلالته المعينة أو الخاصة ضمن نطاق الدلالة

---

(١) عن الصيغة الكاملة المنشورة لهذه النقوش انظر :

Mehern, Cahirah, II Del, p.7, Berchem, Materiaux, pp.105-109.

العامة أو الشاملة للتربة أو القبة، وهو ما يؤكده نقش قبة الصالح نجم الدين أيوب بصيغة: وهذه التربة المباركة بها ضريح مولانا السلطان الملك الصالح.

وعلى ضوء تلك النتيجة المهمة نرى أن ورود كل من مصطلحي الضريح والتربة بمنشأة الأمير حصن الدين ثعلب لم يأتِ اعتباطًا ؛ وإنما كان سيرًا على نفس النهج السائد خلال العصر الأيوبي وهو النهج الذي كان بدوره استمرارًا لما كان سائدًا قبل ذلك[1]- ولكن مع تطور يتمثل في إضافة دلالة أكثر اتساعًا لمصطلح التربة في هذه المنشأة دون غيرها من المنشآت الجنائزية الأيوبية المشار إليها،وهو ما سنعرض له فيما يلي:

بالنسبة إلى مصطلح ضريح الوارد في النقش الأول فقد ظل محتفظًا بنفس دلالته المعينة أو الخاصة فحسب؛ وهي موضع دفن أو قبر الأمير حصن الدين ثعلب وما يعلوه من تابوت خشبي لا تزال أجزاؤه باقية كما سبق القول.

ومن المرجَّح أن هذا الضريح كان يتوسط أرضية قبة على غرار ما هو سائد في القباب الجنائزية الأيوبية الأخرى ومنها قبة الصالح نجم الدين أيوب؛ وكانت هذه القبة تشغل الجانب الشمالي من حوش أو فناء التربة، وكان يتوصل إلى هذه القبة- بل إلى الإيوان نفسه- من خلال الباب الكائن بالحائط الجنوبي -مسدود حاليًا- للدهليز المتفرع من المدخل الرئيس كما سبق القول (شكل ١٤).

أما مصطلح التربة الواردة في النقش الثاني؛ فهو لا يقصد به تلك المقبرة أو التربة التي أعدها الأمير حصن الدين ثعلب لنفسه، والتي أشار عثمان إلى أنها تتمثل

---

(١) ومن أمثلة ذلك: القباب والمشاهد ذات الأضرحة التي ترجع إلى العصر الفاطمي، ولا تزال باقية، ومنها مشهد السيد رقية وضريحها وضريح السيدة نفيسة (رضي الله عنها).

في الإيوان[١] – وإنما يشير إلى دلالة أعم وأشمل وهي المنشأة ككل التي تحوي من بين ما تحوي ضريح الأمير الذي رجحّنا أنه كان يتوسط أرضية مربع القبة بالجانب الشمالي من حوش أو فناء التربة فضلًا عن الملحقات والمنافع والمرافق الأخرى التي لا نعرف منها – في ضوء المعطيات المتوافرة آثاريًا وتاريخيًا حتى الآن – سوى الإيوان الذي يشغل الجانب القبلي لحوش أو فناء التربة، وما ورد في كتب المزارات من إشارات حول دفن ذرية ابن ثعلب في هذه التربة.

ولعل ما يؤكد وجود ملحقات ومرافق أخرى بهذه التربة، هو ذلك الباب الكائن بالحائط الشمالي- وذلك تجاه الباب المسدود حاليًا بالحائط الجنوبي، الذي كان يتوصل منه إلى الضريح والإيوان كما سبق القول- للدهليز المتفرع من المدخل الرئيس الحالي، ومن الطبيعي والمنطقي في الوقت نفسه أنه ما كان لهذا الباب أن يفتح في ذلك الموضع، لو لم تكن هناك ضرورة لوجوده كما لا يخفى؛ وبالتالي فإن هذا الباب كان يؤدي إلى بعض الملحقات والمرافق التي أصبحت أثرًا بعد عين.

ونضيف على ذلك فنقول أن اختيار بعض الآيات القرآنية في كل من النقشين الثاني والثالث كان أمرًا له دلالته أيضًا، فالآية الواردة في النقش الثاني (سورة الفرقان- آية ١٠) إنما تؤكد على صفة الخصوصية للضريح الذي أعده الأمير لنفسه بتربته؛ فهي من بين الآيات المرتبطة بالنقوش الشاهدية الإسلامية.

أما الآية الثانية الواردة في النقش الثالث (سورة الأحزاب- آية ٣٣) المحفور على عضادتي المدخل الرئيسي للتربة؛ فهي تشير إلى أن هذه التربة سوف يقبر فيها الأشراف من نسل ابن ثعلب وذريته، وهو الأمر الذي أيدته الإشارات التاريخية في

---

(١) محمد عبد الستار عثمان، التربة الإيوان ص٢٨٦، ٢٨٨؛ وقد سبق مناقشة هذا الرأي وتفنيده ونفيه.

كتب المزارات من أن هذه التربة بها السادة الأشراف أولاد ابن ثعلب.

ويضيف ابن الزيات فيقول: والواجب على الزائر إذا دخل إلى مكان فيه أشراف أن يقرأ هذه الآية[١].

أما الإيوان فقد ألحق بالتربة لاستخدامه كمسجد للمترددين على هذه التربة أو الزائرين لها، ولم يكن ذلك بالأمر المستحدث أو المستغرب فقد عرفت القرافة قبل العصر الأيوبي الترب الملحق بها مساجد أو جواسق[٢] -أو العكس- واستمر ذلك إبان العصر الأيوبي نفسه، سواء قبل بناء تربة السادات الثعالبة (٦١٣هـ/ ١٢١٦م) أو بعدها.

ومن أمثلة ذلك مسجد الأمير الحاجب لؤلؤ العادلي الذي بناه بجانب تربته، ودفن بها عقب وفاته سنة (٥٩٦هـ/ ١١٩٩ م)[٣]، ومسجد الأمير مسرور الخادم الذي بناه بجانب ضريحه بالقرافة الصغرى، وقد دفن فيه بعد وفاته، وقد أوقف عليه بعض الأوقاف[٤].

ومنها مسجد وتربة الفخر الفارسي (ت٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، وكان في الأصل

---

(١) ابن الزيات، الكواكب، ص٢٢٣.

(٢) ومن أمثلة ذلك مسجد وتربة بني الثمار بجوار مسجد الأقدام، ومسجد وتربة تاج الملوك، ومسجد وتربة الصالح طلائع، وجوسق وتربة ابن مقشر، وجوسق وتربة بني بابشاد، وجوسق وتربة البغدادي الجرجرائي وغير ذلك.

(٣) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٨٦، ٤٥٦؛ ومما له دلالته أن الرحالة الشهير عبد اللطيف البغدادي كان يقرئ الناس بهذا المسجد. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، بيروت، طـ٢ ، د. ت ، ص٦٨٧.

(٤) ابن عبد الظاهر، الروضة، ص٢٥.

معبدًا لذي النون على شاطئ الخندق، وكان الفخر يملك دارًا فباعها وبنى بها -أي بقيمتها- هذا المسجد؛ كما بنى تربة دفن بها عقب وفاته[١]، ولم يتبق سوى النقش الشاهدي المحفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة[٢].

ومنها تربة الإمام الليث بن سعد، وبنى بجانبها المسجد أو المشهد كبير التجار أبو زيد المصري بعد سنة (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)[٣].

كذلك أشار ابن دقماق إلى مسجد التربة المجاورة للمسجد الأخضر[٤]، إلا أنه لم يحدد تاريخ بنائه أو اسم منشئه أو من قبر فيه.

ونظرًا لاندثار هذه الترب وتلك المساجد- باستثناء تربة ومسجد الإمام الليث بن سعد[٥] رضي الله عنه؛ فإنه من الصعوبة بمكان أن نحدد النمط المعماري الذي كان عليه طراز هذه وتلك؛ بل موضع كل منهما من الآخر، وفيما إذا كانت هذه الترب تحتوي على إيوان للصلاة أم لا؟، وهل عرفت المساجد في هذه الفترة النمط الإيواني؟ أم أنها -أي مساجد القرافة- صممت كلها وفق الطراز التقليدي لغالبية

---

(١) ابن عثمان، مرشد الزوار، ص٣٩٥-٣٩٦.
السيوطي، حسن المحاضرة، جـ١، ص٤٦٨.
(٢) يوسف أحمد، تربة الفخر الفارسي، ص
(٣) ابن الزيات، الكواكب، ص١٠١.
المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٤٦٣.
السخاوي، تحفة، ص٢٢٩-٢٣٠؛ سعاد ماهر، مساجد، جـ٢، ص٢٢١-٢٢٢.
(٤) ابن دقماق، الانتصار، القسم الأول، ص٥٦.
(٥) رغم بقاء كل من التربة والمسجد في موضعهما؛ إلا أن عمارتهما الأولى قد فقدت؛ نظرًا لكثرة التغييرات والتجديدات والإضافات والإصلاحات المتتالية خلال العصرين المملوكي والعثماني.

المساجد الإسلامية خلال القرون الخمسة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة – وهو التخطيط الذي يشتمل على صحن ومقدم ومؤخر ومجنبتان – والذي لا تزال بعض نماذجه باقية في العمارة المصرية الإسلامية، وترجع إلى ما قبل العصر الأيوبي[١].

ومن المرجَّح أن نمط المسجد الإيواني كان معروفًا في مصر قبل العصر الأيوبي، ويرجع ذلك إلى أن هذا النمط كان معروفًا في العمارة الإسلامية في المشرق منذ الفترة المبكرة – وليس كما يزعم البعض أن ظهوره كان مرتبطًا بنشأة المدارس وعمارتها- كما هو الحال في المساجد الإيرانية، ومنها على سبيل المثال، مسجد كاج (kaj) -جنوب شرق أصفهان- وتؤرخ عمارته الأولى بحوالي عام (٨٠هـ/ ٧٠٠م)، ومسجد نيريز في فارس (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)، واستمر هذا النمط وتطور خلال العصر السلجوقي وعصر الأتابكة سواء في المشرق، أو في العراق والشام هذا من جهة[٢]،

ومن جهة ثانية فإن العمارة المصرية الإسلامية نفسها قد عرفت الإيوان منذ ق٣هـ/ ٩م على أقل تقدير كوحدة أساسية في تصميم الكثير من العمائر المدنية ومفرداتها كالدور والقاعات والحمامات كما يستدل من وثائق الوقف وكتب الخطط؛ وهو ما أكدته الأدلة الآثارية الباقية. ولما كانت التأثيرات الفنية – سواء من المشرق الإسلامي أو من العراق والشام – قد وجدت طريقها إلى مصر قبل العصر الأيوبي في العمارة والفنون على السواء، ولذلك فإنه من المرجح أن نمط المسجد

---

(١) ومن أمثلة ذلك الجامع الطولوني وجامع الأزهر وجامع الحاكم ومسجد الأقمر ومسجد الصالح طلائع.

(٢) محمد حمزة الحداد، المسجد الإيواني، دراسة تحليلية مقارنة لنشأته وتطوره في العمارة الإسلامية، (مجلة العصور، الرياض – قيد النشر).

الإيواني كان من بين تلك التأثيرات التي تسربت إلى مصر؛ لا سيما وأنه قد ثبت وجود الإيوان كوحدة أساسية في تصميم الكثير من العمائر المدنية منذ القرن ٣ هـ/ ٩م على أقل تقدير كما سبق القول.

ومما يعزز هذا الترجيح -وربما يؤكده- أن ظاهرة إلحاق القباب أو المدافن بالعمائر الدينية، قد ارتبطت في بدايتها بعمارة المدارس والمساجد التي صممت وفق النمط الإيواني كما هو الحال في إيران والشام، ولذلك يمكن القول بأن المساجد التي ألحقت بترب القرافة لم تكن استثناءً لهذه القاعدة أي إنها كانت مساجد إيوانية النمط، أو مجرد إيوان يستخدم للصلاة للمترددين على هذه الترب أو الزائرين لها وهي في هذه الحالة الأخيرة تشبه ما نراه في إيوان تربة الثعالبة – ومما له دلالته أن أقدم النماذج الباقية لهذه الظاهرة تتمثل في قبة الصالح نجم الدين أيوب الملحقة بمدرسته (بين القصرين بالقاهرة) وهي تتبع النمط الإيواني كما هو معروف وهو الأمر الذي فسره العلماء على أنه من بين التأثيرات السورية على العمارة الأيوبية بمصر[1]، ولكن النماذج التي سبقت الإشارة إليها إنما تؤكد على أن هذه الظاهرة لها جذورها في العمارة المصرية قبل العصر الأيوبي، بل خلال العصر الأيوبي نفسه – وذلك قبل إلحاق قبة الصالح نجم الدين أيوب بمدرسته- وإن كانت ملحقة بمساجد، أو ألحقت المساجد بها فضلًا عن الجواسق كما سبق القول.

---

(١) حسني نويصر، منشآت السلطان قايتباي، ص٦٨، محمد مصطفى نجيب، مدرسة خاير بك (بحث في كتاب القاهرة – مؤسسة الأهرام ١٩٧٠م) – ص٥٠١؛ صالح لمعي مصطفى، التراث المعماري الإسلامي في مصر، ص٣١؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، جـ٣، ص١٠٥٤-١٠٥٥، ١٠٦٨؛ دراسات في الحضارة الإسلامية، القاهرة ١٩٧٥م، ص١٠٦.

Margoliouth, cairo, p.62, kessler, funerary, p.259.

وعلى ضوء ما تقدم يتضح مدى أهمية تربة الثعالبة في العمارة المصرية الإسلامية عامة، وإبان العصر الأيوبي خاصة، سواء من حيث دلالة مصطلح التربة أو من حيث أهمية تخطيطها المعماري.

فبالنسبة لمصطلح التربة ثبت أنه لم يعد مرادفًا لمصطلح القبة أو المشهد، وإنما اتسعت دلالته العامة أو الشاملة؛ فصار يقصد به المنشأة ككل التي تحوي من بين ما تحوي الضريح أو القبة أو المدفن.

أما من حيث التخطيط المعماري فإن هذه التربة تعد أقدم تربة تشتمل على إيوان في العمارة المصرية الإسلامية عامة؛ وفي عمارة الترب خاصة.

وعلى ذلك تعتبر تربة الثعالبة، الأساس الذي تطورت عنه عمارة الترب إبان العصر المملوكي سواء من حيث دلالة المصطلح، أو من حيث عمارة الترب ومفرداتها وملحقاتها ومنافعها ومرافقها، والتي كان من أهمها إيوان التربة وكان يوقف هو والمحراب الذي به مسجدًا لله تعالى وبيتًا من بيوته، ومن بين الأمثلة تربة القاضي عبد الباسط، وتربة المؤرخ ابن تغري بردي وغير ذلك.

وهو الأمر الذي سنشير إليه تفصيلًا في النقطة (رابعاً) من الفصل الثاني.

أما ما أشار إليه عثمان من أن تربة السنجان تعد نموذجًا آخر للتربة الإيوان متأثرة في ذلك بتربة الثعالبة القريبة منها، وأنه باكتشاف هذا المثال الثاني الذي يرجع إلى النصف الثاني من القرن ٧ هـ/ ١٣م يتأكد وظيفة المثال الأول، وأن كل منهما يؤكد وجود نمط التربة الإيوان في عمارة المدافن بمصر[1]، فلا أساس له من الصحة

(١) محمد عبد الستار عثمان، التربة الإيوان، ص٢٨٩-٢٩٢.

لافتقاره إلى الدليل المادي أو التاريخي القوي؛ فإن وصف السكري لهذا القبر بأنه عالي البناية لا ينهض دليلاً على أن الإيوان هو القبر أو التربة لأنه لو كان ذلك صحيحا فلماذا لم يصف السكري تربة الثعالبة –وهي المثال الأول والأصل لتربة السنجان على حد قول عثمان كما سبق القول – بنفس الصفة؟

والصحيح في ذلك أن مثل هذه الأوصاف هي من قبيل صيغ المبالغة التي ترد عادة في كتابات المؤرخين والرحالة بصور كثيرة، وعلى ذلك فإن وصف قبر ما بأنه عالي البناية لا تعني سوى الإشارة إلى أن سطحه العلوي مرتفعًا بشكل يثير الانتباه لو قارناه بالقبور الأخرى.

ومن هذا القبيل ما أشارت إليه كتب المزارات باسم القبر الهرم فهل هذا يعني أنه يطاول الهرم في ارتفاعه؟ أم هل يعني هذا أنه يشبه الهرم في نمطه؟ فالإشارة هنا تعني أن هذا النوع من القبور مدرج مثل هذا النمط من الأهرامات المصرية، ولحسن الحظ لدينا بضعة نماذج لهذا النوع من القبور عبارة عن قبر مسنم على هيئة مصطبة ذات ثلاثة مستويات مدرجة يعلوها سقف أو سطح مسنم ومنها ما نراه في مدفن سليمان أغا الحنفي بالأباجية ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م.

هذا ولا تزال القبور العالية البناء –بل القبور المتعددة الطوابق– منتشرة في جبانات بعض مدن وقرى الوجه البحري؛ ويمكن للمرء أن يشاهد نماذج منها على جانبي طريق مصر الإسكندرية الزراعي.

والراجح أن هذا الإيوان هو من بقايا رباط وخانقاة الأمير سنجر الخاذن السروري المعروف بالخاذن الأشرفي (ت٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م) الذي كان بالقرب من

قبة الشافعي[١].

وبالتالي فإن السنجان هو تحريف لسنجر وليس إلى القاضي السنجاري أو ابن خلكان كما أشار عثمان[٢].

ومن المعروف أن الأربطة والزوايا التي بنيت خلال عصر المماليك البحرية كانت تشتمل أما على إيوان رئيس يطل على صحن أو أكثر من إيوان حول صحن أوسط، فضلًا عن الملحقات والمرافق والمنافع الأخرى؛ غير أن ما يعنينا منها، في هذا المقام، هو مكان الدفن سواء أكانت تعلوه قبة أم لا.

ومن أمثلة ذلك رباط أزدمر الصالحي المعروف خطأ بمدفن مصطفى باشا (شكل ١٥) وزاوية يوسف العجمي (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) التي لم يتبقَ منها سوى الإيوان[٣]، وزاوية زين الدين يوسف (شكل ٢١)، وأحيانًا كان يحل محل الإيوان رواق ومن أمثلة ذلك رباط أحمد بن سليمان الرفاعي[٤] بحارة حلوات من سوق السلاح بالقاهرة (آثر ٢٤٥)..

وقد زار مصر ابن سعيد[٥] في أواخر العصر الأيوبي، وترك لنا وصفًا جميلًا

---

(١) انظر القسم الثاني من الجزء الأول من المجلد الأول لهذه الموسوعة، وانظر أيضًا ص ١٣٦ من هذا الكتاب.

(٢) عثمان، التربة الإيوان، ص٢٨٩ حاشية ١٢٣.

(٣) عثمان، زاوية يوسف العجمي، مجلة كلية الآداب بسوهاج، العدد ١٤، يناير ١٩٩٤م، ص٢١١-٢٢٢، أشكال ٢-٣، ٥ ، لوحات ١-٦.

(٤) ذكره المقريزي باسم الرباط المعروف برواق ابن سليمان. الخطط، مج ٤، ص ٧٩٧-٧٩٨.

(٥) هو علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي الغرناطي، ولد بغرناطة (٦١٠هـ/ ١٢١٣م) وتوفي (٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م)، ورحل إلى المشرق، فدخل دمشق، والموصل، وبغداد، ومصر، =

للقرافة، فقد ذكر أنه بات ليالي كثيرة بالقرافة التي تقع شرق الفسطاط، وأن بها منازل لأعيان الفسطاط والقاهرة، وقبور عليها مبان معتنى بها، وفيها القبة العظيمة العالية المزخرفة التي فيها قبر الإمام الشافعي رحمة الله عليه، وبها مسجد جامع وترب كثيرة عليها أوقاف للقراء ومدرسة كبيرة للشافعية[1].

مما سبق يمكن القول أن تسمية القرافة الصغرى، قد ظهرت إلى الوجود في العصر الأيوبي، بعد أن أقبل الناس على البناء فيما حول قبر الإمام الشافعي في عهدي كل من السلطان صلاح الدين والكامل محمد، وقد امتدت هذه القرافة في سفح المقطم، وعظم العمران بها حتى أصبحت أعرف الجبانات باسم القرافة، أما القرافة الكبرى، فقد تلاشى أمرها إلى أن عاد إليها العمران من جديد في عهد الناصر محمد بن قلاوون كما سنشير في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

=

وسكن تونس، وهو صاحب كتاب المُغرب في أخبار المَغرب، والمُشرق في أخبار المَشرق، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، جـ٢، ص١٧٨، وكانت زيارته لمصر في أواخر العصر الأيوبي في سلطنة الصالح نجم الدين أيوب (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٨م).
انظر مقدمة كتاب المغرب في حلى المغرب، ص١٦.

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص١٠، كبريت المدني، محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي، (ت١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م)، رحلة الشتاء والصيف، تحقيق محمد سعيد الطنطاوي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص٨٦-٨٧.